الكيان اللبناني

☆



كان كيان الدولة تراباً وسكاناً ، ولكنه رباط روحي مقدس خيّر يجمع بين السكان فيخلق منهم وحدة قوية متيقظة مبدعة تحيا في ارض ذات حدود ، مرافقها كلها حرة ، بحراً وجواً وبراً .

فسلامة الكيان تكون قبل كل شيء بسلامة الرباط القومي الذي يشدنا الى بعضنا فيشدنا الى ارضنا فنكون كياناً دولياً مادته انسان وفكر وتراب ، وغايته الانتاج ، وامانيه السير المستمر في هوادج الفكر العالمي الخالد الخالق .

وكلما قوي الرباط وتنقى من عوامل الجهل والبغضاء كلما تمكنت الامة من اداء رسالتها النيرة تنشرها على الارض يقظة وضياء .

فالكيان اللبناني مثلاً لا يمكن ان يكون في خطر وقاقلة الا يوم ينقطع هذا الرباط الذي يجمع بين قلوب اللبنانيين ويشدهم يداً الى يد .

فمهمة الولي — هذا اذا كان الولي لبنانياً — ان يسهر باخلاص وتضحية على سلامة هذا الرباط اي على تثقيف افراد الشعب للايمان بعظمته ، اي على العمل المستمر في سبيل القضاء على الجهل والتناحر .

اما ان يكون الولي ، هو نفسه العامل على زعزعة حبات هذا الرباط ، وعلى منع الشعب من تثقيف نفسه تثقيفاً قومياً صحيحاً ، وعلى منعه من الانتخاب بحرية في نطاق قوانين من صلب الحرية ، وعلى سد منافذ الطريق امام كل مخلص متحرر وعلى تسخير الاموال لتسخير الشعب ، ولتشجيع الحركات العدائية ضد كيانه ، بسطاً او انكماشاً ، وان يكون هو نفسه جاهلا ، حقوداً ، متعصباً ، بغيضاً ، وان يكون هو نفسه اقطاعياً مستثمراً ، يخال مصلحة الشعب شيئاً من مصلحته ، وان تكون سياسته طائفية في بلد دستوره علماني ، وان يكون مزدرياً بكل قضية من قضايا الثقافة النقية ، فمثل هذا الولي نفسه ، هو المعول الاول في تهديم الكيان .

ايها الشعب اللبناني ان الجبهة فينا ، او اولئك الذين سموا انفسهم بالجبهة ، يجهلون حقيقة وجودنا فهم عندنا اكبر الخطر الذي يهدد رباطنا المقدس ، انهم ينتزعون آجرة سمار من ضلع كياننا .

يجهلون حقيقتنا لان ليس لهم في انفسهم حقيقة .

ان لبنان ما استقل وما كان كياناً الا يوم احبّ ابناؤه المخلصون ان يكون دولة عربية ديمقراطية علمانية ، ولكن الجبهة ، لكن هؤلاء ، ليسوا في جوهرهم قوميين عرباً او ديمقراطيين تقدميين او علمانيين احراراً .

هم مختلون ، انتهازيون يلبسون لكل حالة لبوساً .

عود الى اتسفايج

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

اليوم نعود [1] الى اتسفايج وقد تواتر الينا من انباء حياته وتطوره الروحي ما يكشف عن جوانب قوية من حياته العرمة الحافلة بالاحداث الباطنة ، ونعود اليه مرة اخرى واطياف الذكرى السعيدة لتجربة عنيفة عانيناهـا تلحُّ في الترداد فلا تجد النفس شيئاً اعز عليها من الحديث عن فينـا : مكللة بفرحة الحياة ، او مجللة بثمار الاحزان — سواء .

فان لدينا الآن عن تلك الحياة وثيقتين ثمينتين هما : « عـالم الامس [2] » لاستفن اتسفايج نفسه ، و « استفن اتسفايج [3] » لزوجه فردريكـا . والاولى ترجمة ذاتيـة كتبهـا ذلك الشريـد ابان اقامته الاخيرة في الولايات المتحدة ابان صيف سنة ١٩٤١ (في اوسننج ، نيويورك) ، ثم شطراً من مقامـه النهائي الحزين في البرازيل ، ثم ظهر في نوفمبر سنة ١٩٤٣ . امـا كتاب زوجه فقد ظهر في اواخر العام الماضي في نيويورك . ومنها نشرف على جانبي حيـاته : الباطن والظاهر ، كما نستحدث خبر ذلك العالم المضطرب الخصب الذي عاش فيه هو وحيـه من حوموا حول الستين من احياء اليوم ، وما كانت نفس اتسفايج الا وتراً مرهفاً تداعت فيه احداث تلك الفترة الرهيبة من تاريخ الانسانية . ومن هنا كان كتابه هذا : « عالم الامس » من اجل الوثائق التي تسجل الصورة القوية الصادقة لهذا العصر . ذلك لان اتسفايج ، كما قال فرهيرن واقتبس هو قوله في دراسته الممتازة عنه « كانت التيارات الكبرى التي تشيع في كل حي تنفذ في روحه بكل قوتها الى حد ان هذا البسيط قد شعر بالعالم وهو يمر مختمراً خلال نفسه المتوحدة العميقة » (اميل فرهيرن ، قصيدة : « الطحان » ، راجع اتسفايج : « اميل فرهيرن » ، ص ٣٢٨ ، باريس سنة ١٩١٠) . وهو من ناحية اخرى قد عني في هذه الترجمة الذاتية ان يعرض ترجمة ذاتية لعصره على لسان احد ابنائه اكثر مما عني بأن تكون ترجمة عن حياته هو ، لذا يقول في التصدير : لست اقص ها هنا انباء مصيري بقدر ما اتحدث عن مصير جيل كامل ، جيل عصرنا هذا ، المحمل بعبء من الاقدار لا يكاد يوجد لها مثيل على مدى التاريخ » (ص ٥) . وفضلاً عن هذا كله فقد يسرت له ظروف حياته ان يشاهد الاحداث الكبرى التي اهتزت بها تلك الفترة وان يشارك فيها بروحه : « فبوصفي نمساوياً ويهودياً ومؤلفاً وانسانياً وداعية سلام ، كنت دائماً في المكان عينه الذي كانت هذه الزلازل اقوى ما تكون . لقد عصفت ببيتي وكياني ثلاث مرات ، وفصلتني عن الماضي وكل ما قد كان ، وقذفت بي بقوة عنيفة في الهاوية ، في المجهول « وما لا ادري الى اين » ، مما اعرفه تمام المعرفة (ص٥) .

لقد كان يحيا مطلع شبابه في ذلك « العهد الامين » ، عهد ما قبل الحرب العالمية الاولى ، وفي تلك الامبراطورية النمساوية الهرمة التي اظلها سلام مقيم وخير عميم ، فكان كل شيء في استقرار نظيم ، فاتجه ابناؤها الى الفنون الرفيعة يجدون فيها انبل معنى للحياة بعد ان اطمأن بهم الجانب المادي . وكان لعاصمتهم العتيقة من العراقة فيها ما يسمح بتغذية هذه النوازع الى الحد الاسمى : ففيها عاش ونبغ اعلام الموسيقى : جلوك وهيدن وموتسارت وبيتهوفن وشوبرت وبرامز ويوهـان اشتروس ثم سميه المعاصر رتشرداشتروس ، حتى تكونت تقاليد راسخة الدعائم تنفذ في نفوس اهليها اجمعين ، فصار اهل الفن هم المرموقين من كل الانظار ، واصبح التنافس حامي الوطيس تغذيه حماسة القوم واصالة اذواقهم التي لم تكن تغفل يوماً عن التنويه بنابغ ناشىء ولا عن ترصد هفوات او عثرات المشهورين ، فلم يضع ممتاز في زحمة الاسماء البراقة ولم يعش علم على سالف مجد وتالد شهرة . وكان هذا الجنون بالفنون قوياً خصوصاً فيما يتصل بفن المسرح الى حد يثير الدهشة او الضحك وكلاهما هنا سيان . فقد كان حدث الاحداث عندهم ان يموت فنان او فنانة ، حتى ان اتسفايج ليذكر انه شاهد يوماً الطاهية تغدو الى الغرفة تنهل منها الدموع ، لانهـا انبئت ان شرلوت فولتر — اشهر الممثلات في بورجتياتر — قد مـاتت ، مع

(١) راجع كتابنا : « الموت والعبقرية » ، ص ٣٢ — ص ٤٠ . القاهرة ، ١٩٤٦ .

(٢) The World of Yesterday, an autobiography by Stefan Zweig, Cassel and Company, London, 1943 في ٣٣٩ صفحة .

(٣) Stefan Zweig, by Friderike Zweig, Th.Crowell Comp. New york, 1946 في ط + ٢٧٧ صفحة .

انها لم تشاهدها يوماً تمثل ، بل لم ترها في حياتها . وكانوا يعدون من اجل دواعي الفخار ان يشاهدوا في الطريق موسيقاراً مشهوراً مثل جوستاف مالر،« ولقد تعرفت صبياً الى يوهانس برامز وربت على كتفي ملاطفاً ، فبقيت بضعة ايام مذهولا من هذا الحادث الفذ »(ص٤٢) . ومثل هذا الجو الروحي كان خليقاً ان يبث في نفوس الشباب الاعجاب والمشاركة في الفن والادب ، مما كان يعوض عن الدراسة الثقيلة القاحلة التي كانوا يتلقونها في المدارس التقليدية . وان اتسفايج – شأنه شأن كل الكتاب – ليشكو امر شكاة من هذه المدارس ، ولكنه كان يرى البديل عنها في المحاضرات والمعارض الفنية وغرف التشريح والمسارح . ثم قبل كل شيء كانوا يقرأون ويغشون المقاهي . وكانت المقاهي في فينا في ذلك الحين تشبه المقاهي في باريس في اواخر القرن الماضي بل وفي ايامنا هذه : كانت معهداً خاصاً لا نظير له في العالم . . . فكنا نعلم فيها عن كل ما يحدث في العالم اول ما يحدث، ونعرف عن كل كتاب ينشر وكل انتاج في اي مكان ظهر ، وقارنا بين الانباء في الصحف كلها . ولعل شيئاً لم يساهم في التحرك الفكري والاتجاه العالمي للنمساويين قدر متابعته للاحداث العالمية في المقهى وفي الوقت نفسه يناقشها في حلقة من خلانه . اذ بفضل تضافر نوازعنا كنا نتابع« الكرة الملونة »للاحداث الفنية لا بعينين اثنين بل بعشرين او اربعين عيناً . وما يغفل عنه الواحد منا تنبه اليه آخر ، ولما كنا نحاول بطموحنا الطفولي المتنفج المهذب مع ذلك ان يبز كل منا اخاه ،فانا كنا نجد انفسنا دائماً في نوع من المنافسة المستمرة في سبيل الامور ذات الاثر . فاذا كنا مثلاً بصدد التحدث عن نيتشه ، وكان لا يزال آنذاك محتقراً ، كان منا من يقول فجأة بنوع من التعالي المفتعل : « لكن فيما يتصل بالاثرة كير كجورد اعلى منه كعباً » ، وفي الحال كنا نشعر بالقلق مسائلين انفسنا :« من هو كير كجورد هذا الذي يعرفه فلان ولا نعرف نحن عنه شيئاً ؟ » وفي اليوم التالي نندفع كالعاصفة الى المكتبة لنطالع كتب ذلك الفيلسوف الدنيمركي الذي غمره الزمان ، اذ كان من امارات النقص ان نجهل شيئاً غريباً غيرنا على علم به (ص٤١) وفي هذه الصورة يرسم لنا اتسفايج ملامح المقهى الفيناوي الذي كان معهداً شعبياً حراً من الطراز الاول ، مزوداً خصوصاً بصحف الانباء السياسية والادبية والفنية .

ولقد اتجه اعجاب هذا الشباب المتلهف للمعرفة الى شاعر شاب كان اعجوبة في بكور نضوجه حتى انه بلغ مكانة خالدة في تاريخ الادب العالمي عامة والالماني خاصة ولما يبلغ الثامنة عشرة ، فكان ظهوره في نظرهم حادثاً خارقاً للطبيعة ، ونعني به هوفمنزتال الذي قال عنه هرمن بار : انه شاب غريب ، حيناً يداني التحذلق وحيناً آخر يقبل بسذاجة وثقل ، تياه مختال وفي خيلائه فاتن الاغراء ، طفل ولكنه ناضج الى حد مخيف ، اقل اهتياج يثير ثائرته ، لكن قلبه بفضل عقله يظل بارداً كالثلج ، متهلل الغرة ، دنيوي ، ولكنه في وسط الناس متوحد ، حزين ، بدرجة رهيبة متوحد هو وفنه المبكر في الحياة « (هرمن بار ، » صورة نفسي ، سنة ١٩٢٣) . ولذا نرى اتسفايج يكرس صفحات مشبوبة باعجابه هو وابناء جيله بهوفمنزتال ، الى حد يبلغ التقديس بله التأليه ، وشبه تأثيره فيهم بتأثير نابليون في جيله ، هذا التأثير الذي قال عنه بلزاك ان مثل نابليون قد اشاع الكهرباء في جيل كامل من الفرنسيين ، وكان فضله خصوصاً هو في انه كان في مجرد وجوده مثلاً عالياً حياً لامكان وجود شاعر ممتاز في عصرهم ومدنيتهم ويحيا بين ظهرانيهم ، وان لم يجرؤ واحد منهم على التطاول بنظره الى مقامه ، فضلاً عن منافسته . اما الذي كانوا يجرؤون على التحديق فيه فهو رلكه ، لانه لم يكن له من الآثار في ذلك العهد ما يخيفهم .

ويدخل فتانا الجامعة فيطلق العنان لهذا التثقيف الحر ، فلم ينظر اليها على انها جامعة العلم بل جامعة الحياة ، ولذا لم يختر ما اختاره – وهو الفلسفة – رغبة فيها لذاتها ، بل لانها تدع له وقتاً من الفراغ اطول ، فهو بطبعه لا يميل الى التفكير النظري المجرد ، « انما تنمو افكاره بالاشياء والاحداث والاشخاص » (ص٨٢) ، كما هو ظاهر في دراساته : فهو في تحليله لشخصية ما انما يستلهم في التصوير اشياء ووقائع مادية يستنطقها ما تدل عليه روحياً ، ويشبهه في هذا التفكير العيني اميل لدفج ، ضريبه في هذا الاتجاه ، ولكن اتسفايج اكثر نفوذاً الى الباطن .

وفي جو هذا الانطلاق اراد ان يستروح « اطيب عطر على ظهر الارض ، اعذب من عطر ورد شيراز ، وهو ارج مداد الطباعة» (ص ٨٣)، وكان قبول بعض الصحف نشر بعض قصائده قد ملأه زهواً فراح يفكر في نشر كتاب كامل ، وفعلاً ارسل الى اشهر ناشري الشعر في المانيا في ذلك العهد طائفة مختارة من اشعاره ولشد ما كانت فرحته الذاهلة حينما علم بموافقة الناشر على نشرها في كتاب . وهو يصف لنا هذه اللحظة وما صاحبها بسذاجة وحرارة كأنها اللحظة الالهية الكبرى في حياة كل مؤلف ! ثم كان في فينا صحيفة كبيرة هي الصحافة الحرة الجديدة تشبه التيمس في انجلترا

« والطان » في فرنسا ، وكانت تصدر ملحقاً ادبياً كان له الحكم الفصل في المؤلفات التي تظهر ، وكانت المشاركة في تحريره من اعز ما يطمح اليه المؤلفون ، والمشرف عليه كان تيودور هرتسل الذي اشتهر من بعد بوصفه مؤسس الصهيونية !

ويعرج اتسفايج على هرتسل هذا فيصف لنا كيف نشأت فكرة الصهيونية لديه لما ان كان مراسلاً للصحف في باريس فشهد قضية دريفوس المشهورة وكيف صاح دريفوس وهو ينزع عنه اوسمته : « انا بريء » ، فأثر هذا في نفس هرتسل لانه رأى ان اتهامه بالخيانة برغم براءته لم يأت الا من كونه يهودياً . ?لقد فكر اولاً – انقاذاً للشعب اليهودي من مصيره الذي تنبأ به – في ان يدخل اليهود جميعاً في المسيحية ، وتصور نفسه وهو يقود آلاف اليهود في النمسا في موكب رمزي طويل الى كاتدرائية القديس اصطفن في فينا كيما يرفع عن اليهود لعنة التشريد والاضطهاد . وسرعان ما رأى استحالة تحقيق هذه الفكرة ، فلما نشأت قضية دريفوس واجه المسألة في صورتها القاتمة : اذا كان لا مفر من ان يعيش اليهود في عزلة ، فلتكن عزلة مطلقة ، واذا كان مصير اليهود هو الذلة ، فليواجهوها بافتخار ، واذا كانوا يشقون لانهم لا وطن لهم ، فليكن لهم وطن . فكتب رسالة بعنوان « الدولة اليهودية » التي بين فيها استحالة اندماج اليهود في الشعوب التي يحيون بينها واستحالة كل امل في التسامح معهم ، وطالب بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين . ولم تكد تظهر حتى اثارت غضب الطبقة الوسطى من اليهود في فينا . فقالوا كما يروي اتسفايج : « ما هذه الحماقة التي افكر فيها وكتب عنها ؟ لماذا نذهب الى فلسطين ؟ ان لغتنا الالمانية ، لا العبرية ، والنمسا الجميلة هي وطننا . . . السنا نحيا حياة كريمة ، ومكانتنا مستقرة ؟ السنا رعايا متساوين وسكاناً مواطنين مخلصين في فينا بلدنا الحبيب ؟ السنا نحيا في عصر تقدمي ستلغى فيه عما قليل كل فكرة طائفية ؟ » (ص ٨٧) وليس في حديث اتسفايج عنه ما يدل على ميله الى الفكرة نفسها او عدم ميله ، ولكنه لا يكتم اعجابه بالرجل نفسه ، هذا الذي استطاع ان يطلق آلاف العواطف المكبوتة بفضل فكرة !

وينتهي دور الطلب ويبدأ دور التنقل فيذهب الى بلجيكا ليلقى فرهيرن شاعره الاثير لديه ، ثم الى باريس ليشاهد رلكه ، فيرى فيه الشاعر بالمعنى الكامل في حياته ، هذا الذي كان الصمت ينمو من حوله اينما حل وحيثما كان ، متجنباً الشهرة – « تلك المجموعة من سوء الفهم التي تتجمع عناصرها حول اسم ما » – فعاش وحيداً لا بيت ولا مقر ، شارداً في العالم الفسيح دون ان يعلم هو نفسه الى اين يذهب حين يرحل ، لانه كان يضيق بكل قرار واستقرار ، فلا تلقاه الا صدفة يخطر في موكب من العزلة الروحية الرهيبة لا تستبين فيه غير عينيه الزرقاوين وهما تنظران من الاعماق ، وقسماته المطبوعة بالاحزان السلافية الملامح وشاربه الاشقر المتهدل . ان تحدث اليك تحدث في هدوء ولكن من الاعماق كأن قلبه عقد على لسانه ، وفي سذاجة كأنه الجدة تقص اسطورة من اساطير الاولين ، لكن في حياة عميقة ترد اليها وتشيع فيها . فاذا شعر بأنه مركز الحديث في الجمع الذي هو فيه توقف عن الحديث واستغرق في تأمله واصغائه . وكانت اقل نأمة تكفي لاشاعة الاضطراب والبلبال في نفسه طوال ساعات ، وكان حريصاً على التأنق الهادىء في ملبسه ومسلكه ، وفي كتابته : فكان يتأنق في الكتابة واختيار الورق ، ولذا لم يكن يدع شيئاً يخرج من يده – ايا كان – الا اذا كان كاملاً . وكان تأثيره على من يلقاه قوياً مسيراً بقوة مستسرة بحيث يكفي المرء ان يتحدث معه مرة حتى يظل وقتاً طويلاً في ترفع عن الخوض في التوافه .

والصور التي يعرضها اتسفايج عن من لقيهم من الشعراء والمفكرين هي من اثمن ما في كتابه هذا . وهو حريص على العناية بها وابراز الملامح الرئيسية فيها على نحو قد يبلغ الغاية من براعة التحليل كما يشاهد خصوصاً في حديثه هذا عن رلكه ثم عن رومان رولان . ولهذا فللكتاب فائدة جلى للنقاد والمؤرخين في هذا الباب .

ويعود الى نوع من الاستقرار في فينا فيتخذ مقاماً فيها حاول تزويده بهوايته الكبرى وهي جمع الخطوط لكبار المؤلفين ، تلك الهواية التي كرّس لها قسماً كبيراً من ثروته وجهده فظفر بقدر قيمته التاريخية اكبر من قيمته الموضوعية ، لعل من اهمه القمطر الذي كان يجلس اليه بيتهوفن ، ومخطوط صغير لموتسارت وبعض مخطوطات اصدقائه : جزء من « جان كرستوف » لرومان رولان ، « واحوال الحب والموت عند حامل اللواء كرستوفر رلكه » لرينر ماريا رلكه .

وعلى غير ما كان يتوقع كان اتصاله بأكبر العقول في عصره معوقاً له عن الانتاج ، لعل ذلك لشعوره بضآلة ما عسى ان ينتج لو قورن بما انتجه هؤلاء . لكنه ما لبث ان تجاسر على الدخول في هذا الميدان ، واختار الفن المسرحي ، فقام يؤلف الروايات التي كان يميل فيها الى المقهورين اكثر من ميله الى الابطال الظافرين وتلك لمحة ظاهرة في طبيعة اتسفايج ، تعود في اغلب الظن الى ما

يا اخوة الربيع

هذه الباقة من الورد .. اليها ..

حنين

بقلم شكري فيصل

يا اخوة الربيع في الوطن الغالي .
هاتوا حديث الربيع الذي يزدهر على جنبات الغوطة ، ويضحك في روابي النيربين ويبتسم من خلال الغيوم الرقيقة التي تكسو السماء فنحن هنا نعيش على حرقة الغربة ، ونار الحنين .. نفتقد الكل الذي ننعم بلاليه والاضواء الرفيقة التي نداعب ظلالها، والامسيات الحالمة التي كنا نفنى في غموضها اللذ ... ولكننا لا نجد الا أطلالا من ذكريات، يستثيرها الحب ، فتستفيق في اذهاننا وتنطلق من اعماقنا . كالمجنونة . تصرخ في الدماء .. لا نملك لها دفعاً ، ولا نستطيع لها حبساً .. فاذا نحن نعيش معكم .. ان آماداً بيننا وبينكم .. ولكنها تنطوي ، ومسافات ولكنها تضيق ، وحواجز .. ولكنها تتضاءل .. وان دنيانا هنا عبق من ازهاركم ، وقطرات من مائكم ، ونسائم من روابيكم .. ما احلى روابيكم !!

***

هاتوا يا اخوة الربيع حديث الربيع .
حين كنا فتياناً .. نقبل على الدنيا .. العزم ملء برودنا ، والآمال ملء قلوبنا ، والنور ملء عيوننا .. لا الاحزان تأسرنا ، ولا الأسى يخذلنا ، ولا توافه الحياة تعنينا .

☆

كنا اذا خرجنا من المدرسة ألقينا بهذه الكتب ، في أقرب بيت .. وانطلقنا .. جماعة ككوكبة الزهر ، نستقبل الزهر المبكر في ضواحي المهاجرين ، وعلى حفافي يزيد .. يا للذكريات الغوالي في ضواحي المهاجرين وحفافي يزيد ... ونضحك مع الاصائل ، ونغني مع النسائم ، ونرتع في دنيا من مباهج دمشق ، ودنيا اخرى من مباهجنا .. وتمر بنا الساعات .. ونحن كالنحل .. نرشف الجمال هنا وهناك ملء أرواحنا ، حيث طاب لنا الهوى ، او استقربنا المكان .. ولم يكن يستقر بنا مكان .. فقد كان هذا الانطلاق المرح العريض دأبنا .. وهذا التجوال الباسم النشيط عادتنا .. وكان أحلى ما يقع في نفوسنا ان نمضي فنبعد ، وان نمشي فنسرف كأنما كنا منذ مراحل العمر الاولى نعد العدة نحاول ان نجتنب الناس ، وان نتقي أذاهم في احضان الطبيعة الام ..

***

من يذكرنا يا اخوة الربيع بسماتنا على شفاهنا ، اذ ترتجف هذه الشفاه اليوم في رجة الحزن .. من يذكرنا شآبيب النور تتدفق في عيوننا اذ لم يبق فيها الا شآبيب الدمع .. وللدمع نوره الصافي .. من يذكرنا الضحكات التي كانت تنطلق من اعماقنا اذ لا تنبض في اعماقنا الآن الا اوتار هادئة هدوء الكآبة ، موحشة إيحاش الغربة ؟! .. ولكننا مع ذلك نرتقب ان تتفجر الينابيع في المهمه القفر .. نترقب المعجزة بين حين وحين .

***

.. من يذكرنا يا اخوة الربيع .. هذه القصائد التي كنا نغنيها في اعراس دمشق .. لم نكن نصوغها من هذه الالفاظ التي نتداولها ، وهذه المعاني التي نعرفها ، وهذه الاوزان التي كانوا عبثاً يحاولون ان نتعلمها .. وانما كانت لوناً آخر من القصيد .. من نبعة الصبا نغترفها .. ومن سرحة الوجدان نصوغها .. ومن هذه الاخيلة البريئة كنا نتخذ لها الزينة .. وكانت تلتقي من حواليها نفوسنا اذ نلتقي حول العشب الطري ، او الزهر الندي ، او الماء المتدفق .. لم نكن نقول شيئاً .. ولكن كان في صمتنا هذا الطويل .. حديث طويل .. أترانا كنا نصوغ اناشيد الهوى في الفترة البريئة للشباب العبري ...

طبع عليه من رحمة وميل الى السلم، ولهذا فانه في اختياره لاشخاص دراساته النقدية فضل دائماً اولئك الذين صرعهم الشيطان او القدر او الخصوم : ففضل ارسمس على لوثر وماري استورت الملكة الحزينة على اليصابات المجللة بالمجد الزاهي ، وفوشيه على نابليون .
بيد انه ما لبث ان ترك ميدان المسرح لسوء الطالع الرهيب الذي لازم الذين شاركوا في تمثيل رواياته ، فقد تصادف ان مات اكبرهم — وكانوا اعظم الممثلين على المسرح الالماني في ذلك الحين — وهم يقومون بالتجارب قبل التمثيل !
بيد ان الاضواء والظلال كانت تحوم فوق اوربا منذرة بالعاصفة الكبرى المدمرة ، ممسكة بخنق هذا الذي ظن انه يستطيع ان يتجنب مصيره : وهو ان يظل ابداً شريداً طريداً !

القاهرة عبد الرحمن بدوي

أترانا كنا نصوغ من حبات القلب عقود الأحبة.. وهي كل ما نملك في الدنيا.. أترى يستمع الاحبة اليوم الى هذه الاناشيد.. ام انها تضيع كما تضيع نجوى السواقي تبكي عيونها فلا تجد من يرقأ لها الدمع.. وتهيم في الفضاء الطلق فلا تجد لها الالف.. وتغيب في الافق البعيد.. لتفنى.. وقد خلفت على اطرافها الورد ؟ !..

***

من يذكرنا يا اخوة الربيع.. هذا العبث اذ يغمرنا الجد.. وهذه السن الضاحكة اذ يغطي علينا البؤس.. وهذه السخرية الطاهرة اذ نعيش في سخرية الناس الماكرة.. أترى عادت، فلن ترجع عهود الصبا ؟.. ومضت، فلن تلتفت قوافل الايام ؟ !.. وبدأت الدنيا عهداً من القسوة بعد اللين.. ومن الشدة بعد التسامح.. ومن الدكنة القاتمة بعد خضرة الامل الزاهية.. من يدري يا اخوة الربيع ما وراء اسجاف المستقبل ؟ !..

***

من يذكرنا.. يا اخوتنا.. مرابعنا هذه التي كنا نجتليها.. ومطارحنا التي كنا نأوي اليها.. وصبانا الذي نثرناه في الارض الطهور.. أترانا سنعود فنلقى العيش نضراً كالذي كان.. ريان كالعهد به ؟ !.. أترى تنجلي الغمرات فنلقى البشر الذي غاض، والانس الذي نضب. أهو حلم مقبل يتقدم.. ام أيامنا الجميلة تتصرم.. أترانا سنعاود الربيع ام ربيعنا ولّى.. أهي دنيانا قصيرة.. كعمر الورد.. ام دائبة كدفقة النبع.. اترانا سنجوز الصحراء لنستلقي في ظلال الراحة.. ام اننا جاوزنا الراحة لنضرب في هذه الصحراء..
قولوا يا اخوتنا.. فما أشد الشكوك وأقساها.

من يذكرنا يا اخوة الربيع هذه الشجرة المتوردة.. صبية متفردة.. كانت تعيش وحدها في جانب الحقل.. كان، هنا وهنا، بعيداً عنها، اشجار من كل لون.. ولكنها وحدها كانت تنتصب في اباء.. حتى اذا أثقلها الزهر.. وهو بعض جمالها.. أطرقت في استحياء.. لشد ما كنا نحاول أن نتأملها.. ولكننا كنا نحس لها مثل هذا الاستحياء.. فنطرق.. ونطيف بالخضرة من كل لون. خضرة العشب، وخضرة الورق النابت الذي يستقبل الدنيا، وخضرة ورق الجوز النامي.. أتراها.. هذه الشجرة البعيدة على طرف الحقل.. لا تزال تعتصم بالوحدة، وتغيب في التأمل ؟ !.. أأحنت رأسها العاصفة.. أم انثنت حتى مرت بها ؟ !.. أنالت منها الانواء.. ام صبرت للانواء ؟ !.. أطالها الشتاء - ويلي من الشتاء - ام هي تضحك للربيع، وتناغي الشمس، وتتألق مفترة زاهية ؟ !..

***

..من يذكرنا.. يا اخوة الربيع.. مواقفنا في الغوطتين.. حين كنا نلم بكل ارض، ونستظل بكل شجر، وندرع كل بستان.. كانت لنا مواسم: أيامنا الاولى للزهر المبكر، لزهر اللوز الناصع نصاعة الملائكة، والمشمش الضاحك ضحك الاطفال السذج.. وبعض ايامنا الاخرى للدراق المتورد.. هذا الذي كنا نفتتن فيه: تورد وبياض.. حياء وجمال.. صبا وهوى.. ثم تكون ايام ثالثة للزهر من كل لون.. حتى اذا امتد بنا آذار، وأظلنا نيسان.. لم يبق الا التفاح والسفرجل.. ننشده ونسعى اليه.. ونطلبه ونقص آثاره.. وما اكثر ما كان يطول بنا السعي، وما اكثر ما كانت تمتد بنا المسافات في هذه البساتين البعيدة.. فاذا نحن في اعماق الغوطة.. واذا نحن نستاق.. لا ندري كيف نهتصر الجمال، ونعب من الحسن.

***

من يذكرنا.. يا اخوة الربيع.. هذه الاصائل الساحرة.. اذ تمر الريح بالاشجار التي يثقلها الزهر.. فيحملها الزهر اوراقه.. عليها نداوة، وطراوة.. فتطير بها. تنثرها في حركة بارعة، وتحط بها فوق العشب وهي تتراقص طروبة جذلى.. فترقم صفحته، وتوشي خضرته، وتستاق على راحتيه، كما تستاق السعادة على راحتي مجدود.. وينحني هو، يعطف عليها ويحرسها.. ونحن.. نشهد ذلك كله، ونستغرق فيه.. ويتملكنا الصمت، فنصمت لا نتكلم، ونخشع لا نتحدث، ونظل نستمع الى خفقة اوراق الزهر على كف الريح..

من يا اخوة الربيع.. من يذكرنا ؟!.
لا... هذه الذكر لا تثيروها.. وحسبي هنا العهد من بيننا.. جددوه كلما احتضنتكم أرض، أوضحتكم رابية، أو انتظمكم ينبوع.. جددوه كلما عبقت النسائم بالعطر، وضحكت الارض بالزهر.. جددوه في الغوطة والنيربين.. في الزهر المبكر في المهاجرين.. والزهر المترف النؤوم في الزبداني.. وحذار.. حذار يا اخوة الربيع.. أن تنسوا هذه الشجرة المتوردة. مروا بها في خفة الظل، لا تفسدوا عليها هدوءها.. انها في حلم.. لا تفزعوا الملائكة من حولها.. وهي في جوارها. جددوا لها العهد، وأبلغوها الود.. واحملوا لها هذه الباقة من الورد.

القاهرة — شكري فيصل

اختي

☆

النشيدة الثانية

☆

لالياس خليل زخريا

●

اخي

... وأي شعاع لم احبك خيوطه على اسمك بردة
... وأي ربيع لم اعقد وروده على اسمك عقدة
ولم أشدّه على خصرك شدة
ولم ازرده في ثوبـك زردة
مع خطوك سردة
أنا في مدّات صوتك مَدّة
انا في بسط ظلك سجدة
انا تراب ، فغرس ، فوردة
وانتِ في موسم النمـو
مواهة التراب
نواة الغرس
عبق الوردة

فيا عبقاً تجسد ، قبل عهد التجسد إنساناً ...
في مواطيء قدميك وضعت جبهتي ، جبهتي الشامخة ،
ومسحت بشفتي ، باهداب أجفاني ، مواطيء قدميك . .
... أني أحط رأسي ، عندك ، كان الجنة ...

***

... وقالت امي
من ذي التي ترف في حدقة عينك ؟ !
اية نكهة غريبة في رضـاب فمك ؟ !
وضمتني الى صدرها ضمة الايمان
ثم قذفتني عنه قذفة الظنون
... وتجهمت ...
ثم حدّقت بي ، بعيداً ، بعيداً ، كما يحدق الملاحون
الماهرون في وجوه الرياح القادمة من بعيد ...
من ذي التي أشمّ ارضها بين ساعديك ؟
من ذا الطيف المقيم المختلج بين جفنيك ؟
من هي هذه اليد العابثة التي مسحت بالحيرة والذبول
اساريرك
أعطني فمك
وانتزعتني من جدار الدهشة انتزاعاً
... وقبلت فمي مرة ثانية ...
اعطني صدرك
... وضمتني الى صدرها شدّة شدّة ...
ثم هوت ، على الديوان ، نهاراً ينحدر ونغماً ينهار ...
وتساقط حبها على خدها دمعة تلو دمعة
... لقد اضاعت الام ابنها ...
... لقد رأى الابن امه تبكي ...
وانحنى ، بجفنيه ، وشفتيه ، يقبل جبهة ، المرأة العجوز ،
كأنه ما قبل منذ لمحات قصيرة ، في قارعة الطريق
القدمين العاريتين ، بهذين الجفنين
... بهاتين الشفتين الملتهبتين ...
وتنبهت امي
ورفعت رأسي عياء ، وضمته بالراحتين على التأمل والتدبر ،
كأنما مـا عرفته من ذي قبل
... من هي؟ ! قل ... من هي؟!

هي

امرأة غريبة من عند الناس ، رأيتها يا امـاه حائرة
كالسروة في الطريق فوقفت ، فهرولت تسألني عن
امي ، عنك ، فنظرتُ في وجهها ملياً ، وكأنها اختي ...
واقتلعتُ قدميّ من لوح التأمل وتقدمت . .
... ابتعد ... ابتعد ...
من أنت ؟!

غريب

افتش في الطريق عن امرأة غريبة مثلك تسألني عن امي
... تسألني « من أنت » ...
لم أقبلها
ولكن خدها تشرب عينيَّ
لم أضمها
ولكن ظلها خمّر صدري
لم أتأملها
انها في الروعة حيث يجمد عندها جناح التأمل
كلما حاولت ان ارفع عيني الى اعلى تسمرت اهدابها
على القدمين الهادئتين الحالمتين

امي
في لون فمهـا شيء من فمك
في غضب جفنها لمح من جفنك
في عنفوان جبهتها عنفوان من نفسك
من جبهتك

هي ههنا ...
... هنا في دمعك
... هنا في ضلعك
في كل همسة، في كل لمسة
امي
... وكأنها انت
... وكأنها امي
من هي هذه المرأة الغريبة التي قطعت علي وعليك
الطريق في اوائل الليل وقالت لاخيها الصغير، اقذفها بالحصى

***

... ودقت ساعة الحائط
... وكأننا خريف ينهار في الديوان
ونهضت امي، وكأنها تحمل، على العاتقين يد القدر
ومضت وفي قلبي وقلبهـا ثغرة، كأنها خليج من
خلجان لبنان القديمة

اختي
عفوك اختي
كيفما اتلفت في بيتي اسمع الساعة تدق
لم يبق لي بيت آوي اليه عند المساء
لقد قصفتني اختي من عتبة بيتي، من
صدر امي، كما تقصف الاعاصير الاغصان
القوية من شجرة الارز القديمة .
ثم هدأت الاعاصير
فتجمدت على التراب، في زاوية من الارض، اتطلع حوالي،
... ما انا بغرسة
... وما انا بريح
عفوك اختي
اصبحت كالكلاب، اطوف في احياء المدينة، من رصيف
الى رصيف، من مفرق الى مفرق، افتش عن امي،
وما كانت امي لحماً ولا عظماً
وافتش عن أختي
وما كانت اختي لحماً ولا عظماً
يا اطفال الحي،
حذار ان تضربوا وجهي بالحصى، ستكبرون
غداً، وستضيعكم امهاتكم مثلي، على شفتي
الحيرة والالم
والطواف في شوارع المدينة
اختي
ما كانت الحياة املاً
ولكن الامل، كان شيئاً من يأس الحياة
اختي
لقد اصبحت كالكلاب يضربني الكبار بالحجارة الصغيرة .
اختي
اين جبهتك القادرة .
ايها الساقي
.. يا صاحب الكروم المعتقة السخية ...
اعطني حبة
حبة خمر في كأسي
أحبب بالدوالي، بالعناقيد،
بالليالي التي تربت معي بالقدمين جبهة النهار
اعطني خمرك
وان كان دواء لا يشفي من داء
الا تذكر كيف امتصت، الاغريقية المتكبرة
من ناب الصل، على النيل، ناب الحياة

الياس خليل زخريا

خليل مطران

شاء بعض السادة في مصر ان يقيموا في التاسع والعشرين من شهر آذار الماضي حفلة تكريم . لخليل مطران ، وشاء جلالة مليك مصر والسودان الفاروق ان يرعى الحفلة ، وللبيت العلوي في وادي الكنانة في رعاية الشعر والفنون صفحات مذهبة او فوق المذهبة ، لا تقعدهم عن بسطها هموم السياسة ، ومتاعب الملك ، ايماناً دائماً منهم بان الامة التي لا ترعى ابناءها المبدعين هي الامة التي تأكل يومها لتنحر غدها .

وتكريم مطران ، غذاء شهي للمكرمين انفسهم ، ينهلون فيه من واحات الشاعر دم القلب واطياف الفكر ، ونضارة الربيع الازلي ، وهذه الاطعمة المقدسة التي عتقتها يد الجنية الواهبة كما يقول قدماؤنا في قوافي مطران فكان في نصف جيل ، او في جيل — على مد العمر في مد الابداع — قافلة عربية مشرقة الجبين ، نسيقة الهوادج بعيدة الحداء شديدة الايمان ما نزلت يوماً في منازل مستعمر ولا ارسلت شدوة على عتبة اجنبي ولا استعطت بكبرياء هي الذل ، ولا شمخت في ذلة هي عجرفة الكبرياء .

وخليل مطران امة في انسان ، فالذين يكرمونه يكرمون انفسهم شأنهم شأن الذين يقيمون الاعياد للازهار يحملونها اكاليل على جباههم ، وعقوداً في اعناقهم وزينة على صدورهم ، ويخرجون في المواكب اثر المواكب لا ليكرموا الربيع وهو مكرم بنفسه ، بل ليكرموا في النشوة غنى قلوبهم وقوة اجنحتهم ان خليل مطران ، ربيع لم يتادّ اليه خريف كما يقول الوّصافون له في منبسط كل

☆

قلب عربي قافية كأنها ربوة من ربى هذا الجبل الاخضر او ضفة من ضفاف ذلك النهر الازرق وفي قلب كل انسان نبضة كأنها حديقة من حدائق العباقرة الذين يطوفون في الارض دون ان تتزحزح اقدامهم عن عتبات بيوتهم البالية كأنما الارض كلها حبة في صدورهم او رفة في سماوات خواطرهم .

وخليل مطران من هولاء ، الذين لا يشار اليهم بالانامل ، بل بالجناية الجباه الشامخة فهم كالضياء هبة لا تنقطع كيفما نزلت عندها فتحت عينيك على الجمال ،

جمال في الخلق يكاد يكون شاذاً في حسبان ان النقاوة ، والنصاعة في دنيانا شذوذ .

جمال في القومية ، يكاد يكون شاذاً في حسبان ان الشعراء القوميين في دنيانا شواذ وجمال في البيان ، كأنما هذا الاسم الذي لقب به — شاعر الاقطار العربية — فرع من فروع اسمائه التي التي لا تعد كأنما الابداع رفعه عن حدود التسمية فاصبح كالمثل ، نازل في كل اذن ، ومقيم في كل ضمير .

الواقع ، ولكن صرحاء في الواقع هو ان الانسان الكبير لا يحدد قدره في مقال ، ولا يضم لونه في لوحة ، لانه اسفار ضخمة عن نفس ضخمة ، ومعرض رحب عن فن عميق رحب .

« والاديب » التي انشئت يوم انشئت ورسالتها من فيض رسالة مطران واخوانه الرعيل العربي المقدم ، وهودج التحرر في النهضة الحديثة ، يسرها في الفخر ان يكرم شاعرنا القوي الفني ، وان يصبح التكريم مهرجانات في كل قطر ، وان يرعى البيت العلوي دائماً هذا التكريم ، وان يقتدي به الاولياء الباقون في الاقطار الباقية ، وان يشترك في التكريم ، حملة الاقلام ، والازاميل ، والريش ، والعربية المخلصة ، وان تتذكر لجنة الثقافة في الجامعة العربية في القاهرة ، يوم تبدأ عملها لانها لما تزل في غيب الخاطر ، ان مهمتها تكريم الثقافة في مطران .

ان منظمي حفلة التاسع والعشرين من شهر اذار ، هم في الواقع ولكن صرحاء في الواقع ، لم ينظموا مهرجاناً بل اقاموا حفلة تذكر الناس باقامة مهرجان ، لا سيما وقد قصروا في الدعوة والتنظيم ابعد التقصير .

اما لبنان ، اما حكومة لبنان ، اما وزارة المعارف اللبنانية ، في حسبان ان هناك في لبنان وزارة معارف فهي تخاف ان تحسن الاشتراك في تكريم المعرفة ، وقديماً قال علي — الانسان عدو ما جهل —

اما الاديب فتكريمها لمطران ، واصدارها في القريب عدداً خاصاً عنه تكريماً لرسالتها ولا عيب في ان يكرم الناس انفسهم في انفس الناس الكبار ولكن العيب ان يجهل المرء نفسه وانفس الآخرين .

ولعل اجمل ما قيل في التكريم هي هذه الرسالة التي ارسلها الدكتور طه حسين عميد الادب العربي في مصر الى خليل مطران وأنداها قصيدة مطران في « بث الشكر » وتكريم انفس الذين كرموه :

« الاديب »



الى صديقي خليل مطران

بقلم الدكتور طه حسين بك

تحية زكية خالصة لك ايها الصديق الكريم من صديق تعرف مكانتك في قلبه . ومنزلتك في نفسه . وتعرف اعجابه بخلقك العظيم واكباره لادبك الرفيع ، واعلانه في كل قطر زاره من اقطار الارض في الشرق والغرب ، والى كل متحدث تحدث اليه في الشعر من الشرقيين والغربيين،انك زعيم الشعر العربي المعاصر واستاذ الشعراء العرب المعاصرين، لا يستثني منهم احدا ولايفرق فيهم بين المقلدين والمجددين . وانما يسميهم جميعاً باسمائهم غير متحفظ ولا متردد ولا ملجلج ولا مجمجم . وانما اللفظ الصريح يرسله واضحاً جلياً لا التواء فيه ولا غموض .

فانت قد علمت المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم عن افناء النفس فيمن يقلدون ،وانت قد علمت المجددين كيف يتزهون انفسهم عن الغلو الذي يجعل تجديدهم عبثاً وابتكارهم هباء . . وانت قد علمت أولئك وهؤلاء ان الفن حر لا يعرف الرق كريم لا يحب الذلة، نشيط لا يحب الخمود، ابي لا ينقاد للمحافظة الى غير حد، ولا ينقاد للتجديد في غير احتياط .

انت قد علمت أولئك وهؤلاء ان للغة اصولا يجب ان تبقى وحرمات يجب ان ترعى وحقوقاً لا ينبغي ان تضيع ، وان للحياة روحاً يجب ان يجري فيما ينتج الكتاب من النثر ، وان يجري فيما يعرض الشعراء من الشعر . وان القصد هو ملاك الفن وقوام امره ، لا في الادب وحده ، بل في الفن كله، بل في الحياة كلها .

انت حميت حافظاً من ان يسرف في المحافظة حتى يصبح شعره كحديث النائمين . وانت حميت شوقي من ان يسرف في التجديد حتى يصبح شعره كم ذيان المحمومين .

وانت رسمت للمعاصرين من الشعراء هذه الطريق الوسطى التي تمسك على الادب العربي شخصيته الخالدة وتتيح له ان يسلك سبيله الى الرقي والكمال .

وقد حاولوا ان يتبعوك في هذه الطريق فطار بعضهم بجناح واستسلم بعضهم فاراح، واقمت انت على قمة الشعر الحديث شيخاً جليلا وقوراً لا تزدهيه احداث الحياة ولا يستخفه ازدحام الخطوب ، مشرق الوجه، تستمد اشراق وجهك من اشراق نفسك التي لم يستطع الزمن ان يشوب صفاءها بشائبة، مبتسم الثغر ، تستمد ابتسامه من ابتسام قلبك الذي لم يستطع الناس ان يكدروا ايمانه بالحق والحب والخير والجمال، مشيرا من مكانك هذا الرفيع الى شباب الاجيال وكهولها وشيوخها ، اشارة كلها عطف وبر وكلها اخلاص ووفاء، وتحميس وتشجيع .

انت صنعت هذا كله . واكثر جداً من هذا كله، لم تصنعه عن عمد وانما صنعته عن فطره كريمة وسجية نقية ونفس ابى الله لها الا ان تكون نفس الشاعر الحق ، صورة صافية صادقة رائعة للطهر والاباء والنقاء جميعاً وقد عرف الناس هذا فيك فاحبوك جميعاً . ولم يجد عليك منهم احد، وكانوا خليقين لو استطاعوا ان يكرموك في كل عام بل في كل شهر ، بل في كل يوم . وكانوا خليقين ان يتعبوا لتستريح وان يجهدوا لتهدأ ، وان يشقوا على انفسهم لتفرغ انت للفن . ولكنك تعلم حق العلم ، وما اكثر ما علمت الناس ، وما اكثر ما علمتني انا، ان حياة الفنان يجب ان تكون مزاجاً فيه كثير جداً من الشقاء والعناء ، وقليل جداً من السعادة والمرح .

من اجل ذلك لم تلق من الاجيال التي عاصرتك ما كنت خليقاً ان تلقى منها ولقيت منك هذه الاجيال ما لم تكن خليقة ان تلقى منك . ولكنك تعلم وما اكثر ما علمت الناس ، وما اكثر ما علمتني انا ، ان الاديب الحق يجب ان يعطى كثيراً ويأخذ قليلاً وان ضريبك وصديقك العباس بن الاحنف رحمه الله لم يخطىء، وانما اصاب الصواب كله حين صور نفسه وصورك ، وصور امثالكما من اعلام الشعر في بيته الرائع :

كنت كأني ذبالة نصبت
تضيء للناس وهي تحترق

ايها الصديق الكريم :

ان الذين يكرمونك اليوم انما يؤدون اليك والى الشعر ايسر حقكما عليهم . وكم وددت لو شاركت في اداء هذا اليسير من الحق . ولكنك تعيش في مصر . وانك لتعلم اني اكرمك في نفسي ، وفي اسرتي ، وفي ذوي خاصتي منذ عرفتك .

فاقبل مني تحية صديقك الوفي الحميم

بث الشكر

☆

طوقتموني بـأطواق من المنن ... فكيف اقضي حقوقاً جاوزت مني

وما سبيلي الى أدنى الوفاء بما ... لـكل مبتدر واني ليكرمني

قد أعجزتني عن التخصيص كثرتكم ... فمن أقول له شكراً ومن ومن

أخاف من سوء تـأويل لرأيكم ... في الفضل لو قلت اني لست بالقمن

قومي وفي هـامة العلياء منزلهم ... هم صفوة الخلق بالاخلاق والفطن

ان عزَّ من منحوا نصراً، فأحر به. ... او هـان من منعوه النصر، فليهن

مواطن الضاد شتى في مظاهرهـا ... وفي حقيقتها ليست سوى وطن

ممثلوهـا بهذا المنتدى لهم ... مفاخر ملء عين الدهر والأذن

من كل ذي نسب او كل ذي حسب ... ما في مصادره من مصدر أسن

وكل ذي منصب تعتز أمته ... بسيفه العضب او بالرأي واللسن

وكل مقتبل الايام مجتهد ... وكل طـالب علم نابه ذهن

ومن مؤثل جاه في تجـارته ... او في صنـاعته اغنى الحمى وغني

وزارع صـائن بالبر سمعته ... للوجد مبتذل للحمد مختزن

وشاعر يطرب الدنيـا ترغه ... فـيـا أفانين غريد على فنن

وناثر مسرف في الدر ينفقـه ... كـأنه يتلقـاه بلا ثمن

يا للوزير رئيس الحفل هل وسمت ... شأني جلائل ما تهدي الى الزمن

ليحفظ الله «فاروقاً» لأمتـه ... وللعروبة ولينصره وليصن

هو الذي خبرت معروفه أمم ... فـما تنكر في سر ولا علن

لولاه لم تك مصر اليوم بالغة ... مكانها واتحاد العرب لم يكن

وليحفظ الله ابناء الـكنانة في ... يمن وأمن من الاحداث والمحن

وليحيَ من صان مجد الضاد من ملك ... ومن رئيس عليه اليوم مؤتمن

فكلهم جـاء في ميقاته وله ... تاريخ فضل بهذا المجد مقترن

دوموا وأيامكم بالألف زاهرة ... ولا عدته عوادي الخلف والاحن

أبالغ بي وفـاني بعض واجبه ... لو أن عمري في هذا الوفـاء فني

خليل مطران

السماء بعيدة

بقلم الآنسة سميرة حموي

☆

وعندما ضمتها امها في اختلاجة الالم وبرودة العيـاء، كانت جمال في فصلها السادس تغفل عما في مضامين العمر من عبوس ويبوس واغتراب.

***

قبلة طويلة واسعة ودعت بها الام الشابة ابنتها، وهي ترمق في العناق الاخير ماء الموت كأنما تود ان تعقد بأنفاس ابنتها الدافئة انفاسها المتقطعة الهاربة مع الاشباح. ولكن الموت عجول ثقيل فاذا بالام تغمض في البغتة عينيها، ثم تسقط عنقها باردة قاسية على سواعد الوحشة.

كان على خدها دمعة كبيرة من بقية الحياة، فمسحتها الصغيرة بجدائل شعرها، بشفتيها المرتعشتين، بصفحات خدهـا وصدرها الواهي.

أمي، أمي، ورجّع الصدى ما رجّع

***

وساعة انتثرت أكف الآس على السلم الطويلة، كانت جمال عابسة على غير عادة، كأنما وجهها انعكاس الوجوه المشيعة، ثم راحت تسرق الزنبق الابيض وتسقط السلم لتدسه في أيدي أطفال الحي المنتظرين...

***

«أين امك يا جمال؟»

«ماتت.. وبعد ان ماتت أخذوها في صندوق كبير، كبير، الى «الحكيم» فهي تعبانة.. مسكينة امي لا تستطيع المشي على الاقدام.

وقال صبي خبيث في الحي.. وما الخبث الصبية في عمر جمال.

«قالت لي جدتي ان امك ذهبت الى السماء لا الى الحكيم...»

فتطلعت جمال الى السماء... انها بعيدة... لبعيدة جداً تلك السماء...

وصعدت من على حجر في سور الحديقة ورفعت ذراعيها الى فوق ومدت قامتها الصغيرة مداً، واقفة على اطاريف اصابعها، كأنها تود لحسن ظنها ان تتمسك بضلع السماء فتفتح هذا الباب العالي الازرق ونادت بأعلى صوتها، ثم نزلت كما ينزل الديكة عن حائط الحديقة العالي في الصباح بعد الشروق.

كان ذاك مشهداً صغيراً من مشاهد الحيرة والنقاوة والبساطة نسيه اطفال الحي وراحوا يمرحون مع جمال الجميلة كأنه لم يحدث شيء يعكر طمأنينة النفوس. وتعود جمال في كل ليلة الى المنزل من تعب اللعب في الحي، وتدخل الى غرفة أمها وتغل في سريرها وتنام كأنها تنتظر مجيئها.

***

وتكبر جمال، ويكبر معها شوقها، وكانت كلما امتد فرعها استيقظت على جهلها.

وشاء ابوهـا ان تصبح أماً في منزل امها فتعنى هي وحدها باخوتها الصغار، تنظم البيت، وتغسل، وتعجن، وتمسح، وتجوع... فقد كان أبوها رجلا يحب الحياة ولكن لنفسه وحدها، ويملك من متاع الحياة ولكن على الشح والحرمان، كأنه لم ير ان زوجه قد ماتت...

... كأنه لم يسمع بعد بان الدنيا كلهـا ساعة عابرة، وان هذه الخيرات الموهومة التي تهبها الارض ليست لتفجر الغصة، ولا لتكالب الانانية الجائعة.

***

ولا أعلم اذا كان كرهه لجمال وحرصه على إبقائها في منزله هو انتقام من تلك التي أغمضت عينها في الموت، وأسلمت نفسها الاخير في قبلة على شفتي ابنتها، فأحب ان تحمل هذه العائشة وزر تلك المائتة.

وكم من حي يحمل في هذه الدنيا أوزار الموتى والاحياء من اهله...

***

قصة الادباء في عباءة

اوسكار وايلد

بقلم محمد صدقي كبه

شمعة أضاءت الطريق للسارين في ليل الحياة ... عاشت قليلا ثم احترقت، دون ان يحس بها احد ...

كانت شمعة من لحم ودم .. وكان ضوءاً معنوياً ساحراً .. ، ... رجل ذو شعر اصفر، فوق جبهة عالية عريضة، وعيون زرقاء ضاحكة ساحرة، .. في وجه نضر كالوردة الندية ..

هذا هو اوسكار فنجال افلهرايت وايلد ... أو هذه هي قصة العبقرية، في كتاب البحث عن الحقيقة ...

ولد هذا الثائر على تعاليم المجتمع في (دبلن) عاصمة الثورة في ايرلندا في السادس عشر من اكتوبر سنة ١٨٥٦ لأب طبيب مهر في طب العيون، ومهر كذلك في علاقاته النسائية التي كثيراً ما كانت تنتهي بتردده على المحاكم، .. ولأم كاتبة اديبة، مترجلة كل الرجولة، تعيش لفنها ولرسالتها التي كانت هي – اثارة الرأي العام في ايرلندا لطرد الانجليز منها – ... ولما أتم تعليمه الابتدائي ... كانت قد ظهرت عليه بوادر حب الادب، فانقطع عن الدراسة حيناً قصيراً، ثم التحق بجامعة اكسفورد في سن السابعة عشرة، في نفس الوقت الذي بدأت فيه مخايل العبقرية الكامنة في حسه وشعوره تتفجر وفق ما تشاء لها حرية انطلاقه التي كان يؤمن بها، ويقدس لها هذا الايمان .. . وعُرف الفتى الرشيق الساحر الحديث بهذا اللون الغريب من الوان تفكيره في الجامعة .. فتعرف على جون راسكين، واخذ عنه مبادىء الثورة على التقاليد وصادق – والتر باتر – واخذ عنه ايضاً حب الدعوة الى عبادة الجمال وتقديس الفن، ... ثم ما كاد وايلد .. عدو الحساب والهندسة والجبر ينتهي من دراسته بالجامعة، وينال جائزة اكسفورد الشعرية ... حتى انتقل الى لندن . يبحث بين رحابها عن المجد،

مسكينة جمال، هي تعيش في منزل أبيها منذ غياب أمها، كأنها في الزاوية المعتمة من زوايا السجن، وكأن هذا الوالد سجّان من أولئك الذين كانوا في القلاع القديمة يعيشون بين قعقعة السلاح وترويض الاسود وآبار الحيّات السوداء المخيفة .

وأحبت امي يوماً ان تسأل عن جمال، فهي منذ أسابيع لم تر لها وجها .

ومضيت اقرع الباب، فأطل فجأة من خلال الخشب المشبك رأس بشري .

« أين جمال ؟ »

وتبسم ذلك الوجه، واهتز قليلا ذلك الرأس، قلت : «أين جمال ؟؟ »

وفتح الباب، واذا بي أمام جمال .. وَيلَه ... ويلمه ... لقد جزّ لها شعرها، وخرجت برأسها المحلوق كأنها جنية من هذه الجنيات العجيبة التي يشاهدها الاطفال في احلامهم المخيفة ...

***

... « أنت جمال ؟ ؟ »

وجرت على خدها دمعة كبيرة، وتمتمت ورأسها على صدري، غارق في صدري ...

« حلق شعري ،

... شعري الاشقر المجدل الطويل،

... خاف أن أترك المنزل،

... خاف أن يراني شباب الحي»،.

ثم غصت بالدمع، فرفعت رأسها الى شفتي وقبلت شفتيها ... ورفعت إزاري وخبأت رأسها ثم حملتها الى منزلنا .

***

لم تزل جمال مخبأة عندنا في البيت، ولم يزل والدها يفتش في الحي عنها، لن أتركها تذهب الا وجدائل شعرها متهدلة على كتفيها،

مساكين هن الصبايا اللواتي يفقدن امهاتهن ويبقين في ظل آباء كأنهن اشياء من متاع البيت ...

***

... وأمس في الليل، في أطاريف الليل، استيقظتُ على حركة في شرفة منزلنا وتأملت فاذا بجمال تمد ساعديها كما مدتهما من قبل الى السماء .

لم أسمع ما قالت...

سمية حموي

بعد موت اخته وابيه ، وتبرم امه بالحياة في ايرلندا . . .

وفي لندن . . . كان سمار الليالي ، وحبيب اللذة والمتعة ، قد نال حظاً وافراً من الشهرة والمجد في انديتها ومجتمعاتها ، كأديب ومحدث بارع في نواحي الفن والفتنة ، والدعابة والمجون . . . . خالط مشاهير الرجال . . وصادق الشاعر وليم موريس ، والرسام هويسلر ، والكاتبين برناردشو وفرنك هاريس ، . . فاستطاع بذلك ان ينتصر جهاده على دور النشر ، واقنع احداها بنشر مجموعة شعره الاولى ، التي اعجبت بها ، وكتبت عن روعتها وعظمة مؤلفها الاديبة الانجليزية – مس آلين تيري فانتشر الكتاب بفضل ثنائها عليه ، ونال حظاً وافراً من النجاح . حتى لقد طبع مرتين في انجلترا ومرة ثالثة في امريكا في نفس السنة . . . مما حدا باوسكار وايلد . . ان يذيع نبأ دعوة خيالية نظمتها نشوة انتصاره في الجولة الاولى ، فاعلن انه مسافر الى امريكا ، ليلقي هناك بعض المحاضرات ، . . .

وفي امريكا . . . عام ١٨٨٢ . . كان الباحث عن الحقيقة . . قد استطاع ان يحقق الدعوة الخيالية التي وجهها لنفسه . . كان قد خلق لنفسه جمهوراً كبيراً من المعجبين بطريقته في الحديث والشغوفين بقراءة كتاباته ، كما انه كان قد استطاع ايضاً ان يجمع قدراً من المال لا بأس به ، بالنسبة لكاتب او محاضر في مستواه . . . استطاع ذلك بعد ان اضفت احاديث الناس عنه ، ورأيه فيهم . . لوناً جديداً يرضي كل رأي عام . . اذ كان بارتدائه – الشرت – القصير ، وربطة العنق الحمراء ، وخصلة الشعر المتهدلة على جبينه المشرق الوضاء . . . شخصاً محبوباً ساحراً . . يعيش في حياتك وهو يحدثك عن نفسك ، او يكتب لك عنها . . .

هذا الفنان العبقري . . . انه لم يكن بعد قد حدث الناس ان سر السعادة في الحياة . . . انما هو بشفاء النفس عن طريق الحواس . . لا بشفاء الحواس عن طريق النفس . . وكانت تعاليمه الجديدة ، ودعوته الى عبادة الجمال وتقديس الفن . . قد أوحت للناس . . انه اذا كنا نخاف الخطيئة . . فمن الخطيئة ايضاً . . ان نمنع انفسنا عن الخطيئة . . بخطيئة اخرى نرتكبها ضد نفوسنا الحائرة بين حرمانها ورغباتها . . وبين الخوف والجبن من أخذ الحياة كما خلقت لنا . . . استطاع ان يقنعهم بهذا . . وهو يحدثهم بعبقريته الخالدة عن فلسفة الجمال وتقديس الحب . . .

***

وعندما غادر امريكا . . كان يفكر وهو على ظهر السفينة التي اقلته الى لندن . كيف سيحتل المدينة العظيمة بآرائه وتعاليمه التي طلع بها على الناس . . .

ولكن . . ماذا حدث . . . ؟ انه راح يحاضر هنا وهناك . . دون ان تأخذ الناس النشوة التي كان يعقدها على افكاره كلما جلس الى جماعة منهم . . . وسقطت مسرحيته الفكرية – فيرا – سقوطاً شنيعاً حط من مكانته في نظر ناقديه . . حتى لقد اضطر للسفر الى باريس يبحث لنفسه فيها عن نجاح جديد . . وحتى يتعرف ايضاً على بعض رجالاتها . . .

وفي باريس . . . في المدينة الفاجرة . . مدينة اللهو والمرح . لم ينفذ اوسكار وايلد الفكرة التي رسمها لنفسه ، قبل ان تستهويه متع الليالي الحمراء ، لقد جرفه تيار الفتنة التي يعشقها ، فراح يأخذ عن الفرنسيين متعة لهوهم ، وجمال ازيائهم اكثر مما يأخذ عن آدابهم وفنونهم . . . فاذا به يكاد يبدو خالي الوفاض مما جمعه في امريكا . . واذا به يعود ثانية الى لندن . يتزوج فيها على عجل ثم يعود ثانية ايضا الى باريس ، حتى يقضي هناك شهر العسل . الذي ابتدأ بعده كيانه يبدو قوياً جباراً : فألف ابتداء من هذه الفترة اقوى مؤلفاته الرائعة : كمسرحية الليدي وندمير ، وامرأة لا شأن لها ، وزوج كامل ، واهمية الجد ، وسالوما ، والزوج المثالي . لقد لمع اسمه في افق المجد والشهرة . ككاتب عرف بسحر الشخصية ، وروعة الفكاهة وذلاقة اللسان . . مع فلسفة التفكير السهل العميق . . . . . .

كانت لندن في هذه الفترة . تعيش على مائدة احاديثه تشبع النفوس . . وكانت تعاليمه الجديدة . تلقى من نفوس الناس قبولا راضياً واستحساناً رائعاً . . . وكان وايلد هو الآخر معيناً لا ينضب من الفن الرائع ، والفتنة العبقرية . . – ولكن . . ما هذا الذي يبدو في الافق . . ؟ لقد توطدت صداقته باللورد الشاب دوجلاس واصطحبه معه في رحلة الى جبال ايطاليا . . وما كادا يقطفان ثمار ازهارها الحلوة ، الا وشاعت عن علاقتهما الشخصية بعض الاشاعات . . . اذا . . ؟ . . لقد بدأت المجتمعات تلوك سيرة اللورد الشاب مع اوسكار وايلد . . في موضوعات شائكة تتعلق باخلاقه . . حتى لقد اضطر اللورد – كنتبري – ان يكتب الى ولده اللورد دوجلاس يهدده بالحرمان من الميراث . . اذا هو استمر على علاقته بوايلد . . ثم اذا به يأمره مرة اخرى بالعودة الى لندن على وجه السرعة . . ولكن اللورد دوجلاس الشاب

والشاب الذي يعيش تعاليم اوسكار وايلد الفاتنة .. يسخر من تهديد ابيه ولا يعود .. ثم اذا به يهدد اباه بعد ذلك بالقتل اذا هو اثار هذه المهزلة مرة اخرى ..

اما الفتنة .. فلا تغمض لها عين .. واما الجمهور ... فما اقسى حسابه للفنانين على هناتهم .. لقد كانت مقالات وايلد التي نشرها قبل ذلك .. قد هيأت الاذهان لتصديق ما يشاع عنه ، من الاتهامات الشخصية التي وجهت الى اخلاقه .. كمقالة انحطاط الكذب ، والسم والقلم .. ثم واخيراً فصول قصة صورة دوريان جراي .. التي كان يكتبها على التوالي في مجلة – لبنكوت – والتي كتبت عنها الصحف والنقاد .. انها مستوحاة من ادب الفرنسيين المنحطين ، وانها ان كانت ادباً .. فهو ادب مسموم نتن الرائحة .. لا يجني القارىء منه الا الاعجاب بحب الرذيلة ..

كانت كتاباته على سمو ما فيها من روعة وفن وعظمة ما فيها ايضاً من هدم للأفكار القديمة ... كانت سافرة عريانة .. تصف المجتمعات كما ولدتها الطبيعة بخيرها وشرها .. وتدع للنفس الانسانية ان تختبر هي الاخرى خيرها بشرها .. وشرها بخيرها .. اليس هو حراً في تحطيم الاصنام القديمة .. ؟ اليس هو حراً في الدعوة الى عبادة الحسن والجمال .. ولو اتهموه بالاباحية والبوهيمية والانحراف .. ؟ ما دامت هذه هي عبادة الجمال التي يؤمن بها .. ويقدس لها هذا الايمان .. ؟

مظلوم وايلد .. لقد كانت كتاباته التي هدم بها آراء المجتمع القديمة البالية .. والتي اراد ان يحرر بها افكار المتعصبين .. خير مصدق للتهم التي وجهها اليه اللورد – كنتبري – .. فاقتنع القضاء بهذه التهمة .. بعد ان شرح وايلد للمحكمة خلال جداله ومناقشاته في هذه القضية التي رفعها على اللورد كنتربري .. والتي انعكست ضده .. ان صلته باللورد دوجلاس ، لا تعدو علاقة الصديق بالصديق ، ..

وكان اللورد كنتربري .. قوياً في مقاضاته ، فاستطاع ان يحضر عدداً من الشهود الشبان الذين كانت تربطهم بوايلد علاقات اثيمة .. فانتهت المحاكمة .. بادانته والحكم عليه بالسجن سنتين بالاشغال الشاقة .. لارتكابه جرائم خلقية ضد المجتمع الذي احترقت من اجله شمعة حياته الفنية ...

***

ولكن .. بعد كل هذا ... صدقني يا صديقي ... ان اوسكار وايلد كان يجتاز في سجن – ريدنج – اصدق مراحل التصوف الانساني .. بعد ان لاقى مرارة العذاب ... وقاسى سوء المعاملة .. فلقد كتب هناك بين جدران هذا السجن كتابه المعروف (من الاعماق) الذي اتجه به نحو الانسانية وصلتها بالله . ونحافيه نحو المحبة .. وعلاقتها بالمجتمع ... وصدقني ان الحياة لم تنصفه بعد كل هذا .. فما كادت اقدامه تطأ مغادرة بوابة السجن .. حتى سافر ليلاً الى فرنسا ، ونزل في – برنفال – في فندق صغير باسم مستعار هو – سباستيان بليموث – ثم عكف على كتابة قصيدته الخالدة – موال سجن ريدنج – ونشرها تحت اسم (ج ٣-٣) الذي كان يعرف به في السجن ...

كان يحاول ان يسترد مكانته الادبية .. وكان المجد يأباها عليه ... لقد خبا ضوء الشمعة . وشاغلتها عواصف الاقدار .. وجففت قسوة المجتمع زهرة وايلد التي كانت تنشر على الدنيا اريج الحرية وحب الحياة ...

كان ربيع الخلود في عمره قد مات ... وحاول صديقه الوفي فرانك هاريس .. بعد ان باع جريدته التي تصدر في لندن . ان يغريه بالكتابة .. حاول ان يبعث مجده من جديد ... وبذل في سبيل ذلك كل الممكنات .. فراح ينتقل به على نفقته الخاصة التي كانت تهبطه الى نيس .. والريفيرا .. حيث يساعد جمال الطبيعة ، وهدوء الجو وزرقة السماء ميول الكاتب المصدوم فيكتب شيئاً جديداً ...

ولكن هيهات ... لقد تحطمت نفسية اوسكار وايلد في حياة السجن ، وخمدت عبقريته بين جدرانه .. وفشلت الطبيعة بسحرها .. واصدقاؤه بمحاولاتهم اثارة نوازعه ككاتب له تعاليمه وآراؤه .. فراح يقبل على الخمر .. يشربها في عطش بشع ... حتى افلس صديقه هاريس .. وحتى راح هو الآخر يستدين من اصدقائه .. ثم يستدر كرم غيرهم بفتات حديثه عن الماضي ...

ولما ساءت حالته النفسية والصحية .. كان المقام قد استقر به في باريس .. وتوفي عام ١٩٠٠ ودفن بمقبرة الاب – لاشيزار – بعد ان شيع جثمانه نفر يعدون على الاصابع .. تعاونوا على نقله من الحجرة القذرة التي كان يسكنها ...

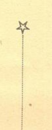
مسكين وايلد ... لقد كان شمعة اضاءت الطريق للسارين في ليل الحياة .. وعاشت قليلاً ثم احترقت دون ان يحس بها احد ...

دمنهور — محمد صدقي كبه



النسر

بولس سلامة



مدَّ الجناح على ضفاف الوادي … تاج الفضاء وسيد الأطواد
يرنو الى الوكر الانوف معلقاً … عند الغمام ومنتهى الأبعاد
مأواه حيث يحط طرف خياله … وخياله حوم على الروّاد
همت قوادمه بوثبة نيزك … خرق الزمان وشع في الآباد
فاذا بسهم النائبات يشله … ويشد همته الى الأصفاد
دمه على الحصباء يقطر اسوداً … ويشيع في التلعات لون حداد
وبقربه النهر الحبيب مسلسل … من مقلة الهضبات والأوراد
ينبوعه دمع البتول طهارة … وبراءة الاحلام في الزهاد
والنسر محترق اللهاة تشبثت … اجفانه بالكوثر الجواد
نارية نظراته نارية … زفراته يا للعظيم الصادي !

***

خفت اليه الطير في نظراتها … مثل الجراح ولهفة العُوّاد
ما راعه الا الغراب فصوته … بطر اللئيم وفرحة الحساد
يختال في النور البهيج مخضباً … اكمامه بمرارة وسواد

***

ما اطيب العلم الهني وليته … خنق الحياة بناطق وجماد
واجلُّ من سل السيوف بقاؤها … مدفونة الشفرات في الاغماد
يا خالق الافعى ومرهف نابها … للفتك بالآباء والاولاد
سبحان رأيك هل يعذب آدم … ويضل بين مفاوز ووهاد
ما الكون الا البحر يقذف شره … متاهب الامواج والازباد
في كل عصف منه فحة ارقم … ونواهشٌ زرقاء غير بوادي
جيف على الآذي تنشر نتنها … وتبث وهن اليأس في الصياد
يا طالب المرجان حظك عاثر … فالبحر مقبرة وجوف فساد
تتآكل الحيتان في اغواره … مأخوذة بالحب والايلاد
كالناس فجار وصرعى لذة … أبدية النزوات والايقاد

***

يا خالق الانسان كيف خلقته … من معدن دنس ومن احقاد
اخلى من القفر الخلي فؤاده … واذا يرق فرقة الجلاد

بكر الورى قـابين انت برأته — وغمرته بالخصب والاسعاد
سخرت عالية السحاب لروضه — ومشت عليه روائحاً وغوادي
فعدا على هابيل عدوة كاسر — وسقى الثرى باكورة الافساد
ذاك الشراب البكر انكره الثرى — وهو الحديث العهد بالاجساد
شهقت لديك الارض شهقة مفجع — وتحرك الحجر الخضيب ينادي
كذب الوقاح النذل حين زجرته — والجرم اظهر من صبـاح بادي
حسد وسفك دم ومين منـافق — جاءت مع الدنيا على ميعاد
ان اجرم الجد الاثيم فقد سرت — اخلاقه النكراء في الاحفاد
الوحل طبع ابيه فهو مغلف — بالطين بئس العهد في الابراد
نسل التراب مفـاوز مقفرة — ونباتها حسك وشوك قتـاد
انف الجراد من الهشيم فلم ينل — شرفاً بـأن يغدو طعام جراد
جفت فنكست الرياح رؤوسهـا — مثل السنابل آذنت بحصـاد
خسئت فأين النار تمحوها كـما — يمحو السراب امـاني المرتاد
يا مضرم النيران لا تمسك على — شيء من الاغراس للحصـاد
قد تلمح العين البصيرة بينهـا — شجراً يزف الطيب للقصـاد
اثمـاره للبـائسين ندية — وظلاله جود وبيض ايادي
تتمرغ الاطيار في افنـائه — وتنام فوق الاخضر الميـاد
فاذا اضر بهـا الهجير ومضهـا — فاءت الى الافنان غب بعـاد
أقدم على غرس الجنان معذباً — بجواره ويهم باستشهـاد

***

أبنـاء آدم يا ذئاباً خطفـاً — يتقـاتلون على دنيء الزاد
انفـاسهم شر وفي تطريبهم — شر ترن به لهـاة الحادي
يمشي على قلب الفقير غنيهم — وحذاؤه من تلكم الاجيـاد
المثلهم ترك المسيح سمـاءه — وافـاء بالآيات والارشاد
يحيي الدفين بنبرة من صوته — ويرد في الظلم الشعاع الهـادي
مـا اقذر النسل المفدى انه — نسل العيوب وما اجل الفادي

***

واستغفر النسر الجريح آلهه — متبرئـاً من ذلك الالحـاد
رباه قـال خلقتني وتركتني — واصـابني سهم فضاع رشادي
اجفانه غـامت فنكس رأسه — واعتل في الافنان شدو الشادي

واذا بوثاب البديهة بلبل ان قال قولاً فهو فيض سداد
يهفو الى النسر المعطل دامعـاً وعيونه لهب وقدح زناد
فيقول يا ملك الطيور وتاجهـا وغياثهـا يا شمس هذا النادي
كنا اذا حمي العراك وآذنت نار الوغى في الجو بالارعـاد
وتشابكت عقف المناسر ترتمي بمخـالب غبر السنان حداد
وخففت شماخ الجناح محلقـاً تفري النجوم برهف المنقـاد
تقف العقـاب عن الوقيعة هيبة ويموج ظل الرعب في الاجنـاد
كبر كمـا شاء الاباء وهمة تسمو على البصراء والنقـاد

***

اقضيت يا ملك الطيور وزهوهـا يا خيبة الاحلام والاعيـاد
لو كان ينجع فيك طب معالج لبذلت في دفع المنون فؤادي
ان لم اصنك بمهجتي ومدامعي في النكبة الجلى فأين ودادي ؟
جهل الغراب رفيع قدرك فانبرى بالشؤم يرسل نعبه المتمادي
واذا قضـاء الله حل ببلدة شمخ العبيد بها على الاسيـاد
ضل الالى حسبوا الاخاء تساويـاً في الطير بين الرأس والافراد
في التوأمين تنافر وتبـاين كتبـاين البخلاء والاجواد

***

قد عشت منقطع النظير ولم تزل في النزع فوق الصحب والانداد
طلب الزمان وحيده فأتيته وصرفت مقلته عن الآحاد
لهف الجبال عليك اذ خليتهـا هملاً مسيبة بغير عمـاد
وفراخك الزغب الحواصل مطمع للغادرين وطعمة لاعـادي
القى الشقاء بوكرهم شوكاً فمـا يرجون عند اليتم لين مهـاد

***

فتلفت النسر العظيم وعلقت عينـاه بين الوكر والاطواد
وتثاءب الجرح العميق لنهدة ضج المـاء لهـا وان الوادي
فتهدلت نضر الغصون واسبلت وكـأنها كانت على استعداد
سبحت به الذكرى الى ايامه غراً مقسمة على الامجـاد
لم تبق الا الذكريات كريمة فيزفهـا للموت زاد معـاد
ويغص بالنطق الاخير ويرتمي متقطع الانفاس رهن جهـاد
ويقول في مثل الكلام وقوله معنـاه « يا رباه صن اولادي
يا ارحم الرحمـاء حسبي شافع المي واخلاقي وحب بلادي »

بولس سلامه

البنت بدور

☆

« منذ خمسة عشر عاماً ، كان بطل هذه القصة صبياً يلعب في ربوع القرية . وكان اذا جاء النهار ركب حماره وذهب الى المدرسة . واذا امسى الليل جلس الى كراسة – الاملاء – وسجل على هوامشها قصة « غرامه الاول » ومرت الأيام واتت على كل شيء على القرية والحمار والمدرسة ولكنها لم تأت على كراسة الاملاء التي سجل الصبي على هوامشها الخطوط الاولى لذكرى غرامه الاول »

☆

كنت اذ ذاك اعيش في القرية . وكنت حدثاً صغير السن . وكنت مدللاً لانني ابن العمدة ، وابن العمدة كما هو معروف ، ابن القرية وفتاها البكر ! كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما جرح الحب قلبي بمضعه الوردي ، واسال دماءه الزكية نقطاً حمراء ، راحت تتساقط على اعتاب الحبيبة ، التي تعلم قلبي على يديها اصول الغرام وفنون العشق لاول مرة في حياته .

وكانت الحبيبة تشتغل خادمة عندنا في المنزل . ولم تكن وحدها . ولكن كانت مع خمس فتيات ، يقمن على خدمة البيت ، ويعتبرن الخدمة في دار العمدة شرفاً لا تظفر به غير المحظوظة من بنات القرية .

أليست من تحظى بهذا الشرف في مقدورها ان تدخل دار العمدة في كل وقت وفي اية لحظة تريد . اليس في مقدورها ان تتشرف بالجلوس في حضرة الست ، حرم سعادة « البيه العمدة » . وان تقدم لها القهوة وهي جالسة على الوسادة تتيه دلالا وعجباً بمعصميها المحليين بالذهب ، وبشال الحرير الهندي الذي لفته حول عنقها ، وتدلت اطارفه الحمراء والزرقاء على صدرها وكتفيها فغدت فيه كالتختروان المزركش الذي تنقل فيه عرائس القرية ليلة الزفاف . بل تستطيع من تشتغل في دار العمدة اكثر من ذلك . تستطيع ان تحلب بيديها اللبن الذي يشربه العمدة في الصباح ، وتخبز بيديها الخبز الذي يأكله العمدة في الظهر ، ثم هي تستطيع ايضاً ان تقدم للعمدة العشاء بيديها ، ان هو تناوله ليلة في الدار مع الست ، ولم يتناوله كالعادة في « المضيفة » .

لذلك كانت من تخدم عندنا في الدار ، تحرص كل الحرص على ابقاء هذا الشرف الذي في سبيله تضحي بكل شيء . حتى بذلك الشيء العزيز الغالي الذي يطلبه منها ابن العمدة .

ولكن – بدور – كانت تختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً ، وكانت ايضا تختلف عن اترابها في كثير من الاشياء . فمثلاً كانت تمتاز عنهن بجمال تضوعت فتنته ، وهو لم يشب بعد عن الطوق . وبأنوثة طابت ونضجت وهي ما زالت بعد تفاحة بكراً تتمايل على الغصن الفارع المياد . وكان ذلك يتجلى لعيني بوضوح كلما ابصرت بها تروح وتجيء امامي ورأيت النسيم يداعب عطفيها ، ويغازل ثوبها الاحمر الفضفاض وكأنه يساكن الرانف الذي تعالى على الثوب وحال بينه وبين الظهر المستقيم الجنبات . او كأنه يعابث ذلك الصدر الطائش الذي تطاول هو الآخر على الثوب المسكين فحال بينه وبين بشرته الناعمة .

وكنت انا انظر الى هذا كله ، ثم الى المنديل المشجر « ابو أوية » المحلى « بالترتر وخرج النجف وحب الرمان » . وقد تدلت اطرافه على الفرق المميّل فزاد الجبين اشراقاً . فأسأل نفسي . لماذا انا ارهب هذه الفتاة ؟ لماذا اخاف بدور ، ولا اجرؤ على اقتطاف قبلة من خدها هذا الملتهب المتورد . . . ؟ بل ولماذا اخاف هذه بالذات ولم اخف مثلاً من صفية او زينب او عائشة . ان واحدة من



بقلم امين يوسف غراب

هؤلاء، لم تتردد يوماً في ان تقدم لي صنيعاً .. ولكن بدور هل انتظر منها يوماً ان تقدم لي هذا الصنيع . انني كلما حدثت نفسي بهذا، وقف الخوف من عينيها حائلا بيني وبين هذه الرغبات .. ان في عينيها رهبة كانت تزجرني كلما تطلعت اليها . وفي نظرتها هيبة كانت توقفني عند حدي، كلما فكرت حتى بمجرد الاقتراب من الشجرة .. لقد كان يخيل لي انها تقول لي بعينيها، اذا ما نظرت اليها واستهوتني ثمرة ناضجة من ثمار الشجرة، مالت على الغصن، او نامت على الفرع — قف عند حدك — وكانت هذه الجملة على شفتيها دائماً اذا ما ارادت ان تعبر عن اعتزازها بنفسها .

ولكن هل اقف عند هذا الحد ..؟ وهل يثنيني الخوف منها عن عزمي . او هل هذا الخوف نفسه استطاع ان يزجرني ويثبط من عزيمتي ..؟ ثم هل سبق في يوم ما ان حال حائل في القرية كلها دون تحقيق رغبة من رغبات ابن العمدة ..؟ اذن كيف تحول هذه الفتاة التي تشتغل خادماً عندنا بأجر لا يكاد يذكر، ويقرأ ابوها الضرير القرآن كل صباح في — المندره — نظير كيلة من القمح في العام، دون تحقيق احلى الرغبات .

انني قرأت يوماً لأبي زيد الهلالي سلامة في كتاب « جنة الخلان في حب دياب وناعسة الاجفان » التي سرقته من عم عطا الساحر الكبير، الذي يسخر الجن لخدمة اهل القرية . قرأت في هذا الكتاب ان دياب بن غانم لما وقع في الأسر، وذهب اليه الهلالي سلامه، وانقذه بعد الموقعة الكبيرة التي سالت فيها الدماء وتدفقت حتى شقت في الصحراء مجراً سمي بالبحر الاحمر بعد هذه الموقعة الدامية، وهو البحر المعروف حتى الآن بهذا الاسم، كما قال شاعر الربابة الكبير .. ان الهلالي سلامة قال لدياب بن غانم عن ناعسة الاجفان ما معناه ان المرأة كالدنيا، لا ترد الفارس المقدام ابداً .. فلماذا لا آخذ انا بحكمة الهلالي سلامة، واكون مقداماً واهجم على بدور، هجوم الغضنفر، فأصرعها من الجولة الأولى، واضرب لدياب بن غانم احسن الامثال في الحروب الخاطفة .

واختمرت هذه الفكرة في رأسي . ورحت ارسم خطوطها، واضع محكم الاساليب لتنفيذها . ولما حان الوقت المناسب، طلبت من بدور ان توافيني الى — المندرة — بالبالطو لأرتديه اتقاء للبرد . وكأنها فهمت ما ارمي اليه بهذا الطلب، فحدجتني بنظرة ساخرة، وانصرفت لتلحق بي بالبالطو وكأنها تقول « حذار من اللعب بالنار » وانصرفت انا الى المندرة، استعرض هجمات الهلالي سلامة، وضرباته القاصمة التي تطيح باشجع الشجعان .

واقبلت العدوة الحبيبة، ومعها البالطو كما امرتها . وهممت بان اسدد اليها الضربة الاولى، بأن اسرعت الى خصرها المرهف وطوقته بذراعي، وهممت بأن اسدد الضربة الثانية الى ثغرها فاطوقه بشفتي . ولكن لطمة قوية من يدها انهالت على صدغي فسقطت صريعاً في حومة الوغى مضرجاً بعرق الخزي . وما ان انصرف العدو الجبار القاسي، حتى كنت قد فررت من الدار كلها، العن الهلالي سلامة، واسب ناعسة الاجفان، واشفق على دياب بن غانم الذي خر صريعاً مثلي في الميدان، كما قال مؤلف الكتاب .



ومكثت اياماً بعد هذا الحادث لا اكلم — بدوراً — ولا هي ايضاً تكلمني، وان كان حبها تمكن من قلبي بعد هذا اليوم، واصبح شغلي الشاغل، الى حد انني كنت لا انام، وكنت اقضي الليالي الطوال ساهراً افكر في الوصول الى قلبها، واختراق ذلك السد المنيع الذي يحول بيني وبينه .

ولما لم اجد حلا بعد ان جربت معها كل صنوف العنف والقسوة، رحت اتودد اليها، واغدق عليها من عطفي، واكثر لها من هداياي . فكثيراً ما كنت اجلب لها من البندر الحلاوة الطحينية وغزل البنات والمناديل المزركشة ذات الالوان البراقة، ومع ان هذه اشياء لا تعدلها اشياء اخرى عند القروية، الا انها لم تؤثر في قلب الحبيب، بل بالعكس راح يمن في الدلال

والتيه والتجني ، ويذيقني المر صنوفاً والواناً . واخيراً لما فاض بي الشوق ، وساء حالي . التجأت الى عم عطا ، وشكوت له امري ورحت اسكب الدموع بين يديه ، وانا ارجوه ان يعينني بالسحر على غزو قلب بدور ، ابنة عم سيد فقيه المسجد الضرير . بأن يأمر مثلاً عفريتاً من عفاريته ، ان يذهب اليها ويحول قلبها الي . فابتسم عم عطا،وربت على كتفي مطمئناً ، وافهمني بأنه يشرفه ان يقوم لي بهذه الخدمة البسيطة التي لا تكلفه شيئاً . وانه عما قريب سيجعلها تأتي الي طائعة مغلولة اليدين وتركع صاغرة عند قدمي . فلم يسعني الا ان اقبل يده ، وانصرف على ان ارجع اليه في المساء .

وفي المساء اعطاني عم عطا حجاباً صغيراً ، وامرني بأن اضع الحجاب في مكان بحيث تتخطاه بدور وتمر من عليه ، ثم اعلقه بعد ذلك في فرع شجرة بكر لم تؤكل ثمارها بعد . وبعد ثلاثة ايام ستجيء الحبيبة تشكو للحبيب حرقة القلب . ونفذت ما امرني به عم عطا بدقة وامانة ثم رحت اعد الساعات والدقائق ، ولكن الايام الثلاثة مرت دون ان اظفر من بدور حتى بنظرة تبعث الحياة في الأمل الميت الذي كنت اعيش عليه . ولما رجعت الى عم عطا افهمني بأن المسألة ليست بالسهولة التي كنا ننتظر ، لانه فتح لها — الكتاب — فوجدها « مزارة » اي ان عفريتاً خبيثاً زارها ذات ليلة فأعجب بجمالها واحبها وكان ان « خاولها » وهو الذي حول قلبها وحال بينها وبين حب اي آدمي . فسألته وانا اشد ما اكون حزناً على حظي العاثر الذي اوقف العفاريت في طريقي . عن السبيل لتذليل هذه العقبة ، والانتصار على هذا العفريت الخبيث ، فأفهمني بأنه سيرسل اليه عفريتاً من عنده يخاطبه بالحسنى اولا . فان لم ينته فسيضطر مرغماً الى حرقه . وهذا لا يكلفه سوى درهمين من كبد الحوت يشتريهما من عند العطار نظير خمسين قرشاً فنقدته هذا المبلغ ولا يعلم غير الله كيف حصلت عليه . ثم انصرفت اترقب حال بدور، ومصرع العفريت الذي يقاسمني حبها .

وكان هنداوي ابو حسن ، خفير الدوار الخصوصي ، قد لاحظ علي كثرة ترددي على دار عم عطا فسألني — وكنت اطمئن الى هنداوي وافضي اليه باسراري — فاطلعته على الحقيقة ، فسخر مني وافهمني بأن عم عطا وان كان فعلاً داهية في السحر ، وانه يستطيع ان يأتي بالمعجزات — وراح يعدد لي معجزاته — الا انه لا يقضي لانسان امراً الا اذا امتص دمه واستنزف ماله ، فلا اظن بأنه سيقضي لك حاجتك بالسهولة التي تنتظر . . فأسقط في يدي واظلمت الدنيا في عيني ، ولا سيما وان السنة الدراسية قد اقبلت . واني سأذهب الى المدرسة في المدينة،ولا اعود الى القرية الا في نهاية الاسبوع . ولكني مع ذلك لم أيأس ، وذهبت الى عم عطا ، وافهمته بأنني سأعطيه كل ما يطلب، واكثر مما يطلب على ان يقضي للقلب لباناته،فاشار بأن اذهب الى المدرسة مطمئناً وسوف لا ارجع في نهاية الاسبوع الا وتكون بدور في انتظاري على رأس الطريق عند الساقية .

وذهبت الى المدرسة، وكنت اقطن في شقة في الدور الرابع مع اثنين احدهما معي في المدرسة نفسها وبجواري على — التخته — في فصل ثالثة ثالث في مدرسة الروضة الابتدائية، وهو الآن يشتغل سكرتيراً لمعهد كبير من معاهد القاهرة . واما الثاني فكان يكبرنا سناً ، وكان طالباً في مدرسة الزراعة المتوسطة ، وكان عربيداً مستهتراً ، يسهر طوال الليل ولا نكاد نراه الا لماماً،وهذا هو نجيب الذي لا اعرف الآن من امره شيئاً .

ولاحظ علي زكي بعد الاجازة انني مشغول البال على غير عادتي، ولما استطلعني اطلعته على حبي الجديد ، ورحت احدثه عن بدور حديث العاشق الولهان ، واصف له جمالها وفتنتها وحبي لها . وكنت اشعر بلذة كبيرة وانا اتحدث اليه عنها واصف له دقائق جمالها حتى انه احبها هو الآخر سماعاً حباً عنيفاً . واصبحنا انا وهو لا حديث لنا في المدرسة ولا في الفصل ولا في البيت الا عن بدور والعفريت الذي يقاسمنا حبها ، والعفريت الموكل من قبل عم عطا بطرده او قتله ان لم يرجع عن غيه . وهكذا شغلت بدور حياتنا في الليل والنهار . وفي « حصة » الديانة اذا ما نام الشيخ عليش في الفصل وتعالى شخيره من تحت العمامة الكبيرة .

وانتهى الاسبوع وعدت الى القرية . وكل املي ان أجد بدور تنتظرني على رأس القناة عند الساقية . ولكن بدل ان اجد الحبيبة المتجنية تنتظر مقدم الحبيب الولهان،وجدتها قد — خطبت — لسالم البردان نجار السواقي في القرية . وان — الدخلة — ستكون بعد ايام . فكدت اجن ، وذهبت من فوري الى عم عطا ، ورحت ابلل يديه بالدموع وانقدته الجنيه الذي ادخرته من مصروفي او الذي كان هو كل مصروفي في الاسبوع فطمأنني . واقسم لي جاداً ان هذا الزواج لن يتم الا بعد ان يحقق للقلب امانيه . وتركني عم عطا ودخل غرفة مظلمة هي التي يخلو فيها بعفاريته وحانت مني التفاتة فرأيت امامي كتاباً ، كنت الاحظ

انه يقرأ فيه دائماً . فحدثتني نفسي بسرقته . او قل دفعني حبي لبدور الى سرقة هذا الكتاب ، الذي يعلمك كيف تسخر الجان لقضاء حاجات الانس فدسسته في جيبي ، ولما اقبل عم عطا صافحته وانصرفت .

وفي الدار في المدينة جلست مع زكي نقرأ الكتاب وندرس فصوله فوجدناه يزخر بالحكم والتعاويذ وتعدد الابواب في كيفية استحضار الجان ، وتسخير — الخدام — في قضاء الحاجات . وعثرنا على باب فيه (عزيمة) لو تليت الفا وسبعمائة مرة بالتمام والكمال حضر اليك الخادم الموكل بالعزيمة ، فتأمره بالذي تريد فيحضره لك قبل ان تقوم من مقامك ، واحياناً قبل ان يرتد اليك طرفك . وانه قادر على ان يأتي لك بالتي تحب في لمح البصر ، حتى ولو كانت — بدر البدور النائمة في احضان الشاطر حسن في قصره المسحور جبال واق الواق .

ولكن لهذه العزيمة شروطاً يجب ان تراعى ، ويجب ان تنفذ بدقة والا ساءت العواقب ، وحدثما لا تحمد عقباه لمن يستخدمها ومن هذه الشروط ان ترتدي جلباباً جديداً ابيض اللون لم يبل وليس فيه ازرار . وان تحلق شعر رأسك حتى لا تغادر شعرة . وان تكتب العزيمة في قلب — صحن — ابيض لم يستعمل من قبل وتضع على ما كتبت شمعة مضاءة وماء زعفران . وان تطهر الغرفة او المكان الذي ستتلو فيه العزيمة بماء الورد المخلوط — بروح الفلية — وتطلق فيه بعض انواع البخور كالجاوي والمستكة والفاسوخ وعين العفريت . ولا ينفذ اليها بصيص نور خارجي غير ضوء الشمعة . وان لا كثر من واحد الحق في التواجد في المكان وتلاوة العزيمة . وانك اذا نفذت كل هذه الشروط بدقة وتلوت العزيمة فانك لن تبلغ السبعمائة بعد الالف الا وترى شبحاً امامك . . وقد لا تراه ايضاً . وقد ينفذ اليك من الباب او من النافذة . وقد يشق الحائط ويخرج عليك منه . وقد يهبط عليك من السماء او يخرج عليك من الارض . المهم تراه امامك دون ان تعرف من اين جاء . يسألك ماذا تريد . . ؟ فتأمره في الحال بما تريد . كأن تقول له مثلاً اريد فلانة بنت فلانة . وتأمره بذلك دون تهيب او خوف لانك اذا تلعثمت ، او كانت معلوماتك خاطئة فانك تموت احياناً . اما اذا لم تتهيب ، فما عليك الا ان تأمر ثم تفتح عينيك واذا بالذي تريد في حضرتك والله اعلم .

وفكرت انا وزكي في هذا طويلاً وتهيبنا الاقدام بادىء الامر . ولكن حب بدور كان اقوى من ان تقف امامه عقبة ، او يحول دونه حائل . غير ان الشيء الذي ضايقنا حقاً هو حلق شعرنا فقد كنا نعتز به ، ولا شغل لنا في الدار اوقات الفراغ غير الوقوف امام المرآة وتسريحه وتعطيره فكيف نحلقه ونفرط به بهذه السهولة . ومن شروط تلاوة العزيمة ان نحلقه . وفكر زكي في ذلك طويلاً وخشيت ان يتراجع فهمست في اذنه بان الشعر — كما تقول الارشادات الصحية المكتوبة على كراسة الاملاء — يجب حلقه ولو مرة في العام . . ثم ان الشعر سيعود ولكن بدور ان ذهبت فلن تعود . واقتنع زكي بهذا القول وما زلت اذكر عودتنا الى الدار بعد حلق شعرنا بالموسى ووقوفنا امام المرآة ينظر كل منا الى الآخر . وكأننا قردان صغيران .

واقبل المساء وبدأنا نعد العدة لليلة الرهيبة التي ستبدأ بعد صلاة العشاء . ومر على غرفتنا نجيب وهو يغادر الدار مع المغرب كعادته ولفت نظره الانقلاب الذي احدثناه في الغرفة . والحالة الغريبة التي نحن عليها فسألنا فاعترفنا له بالحقيقة . فضحك ملء شدقيه وانصرف ساخراً منا . فشيعناه بنظرات الازدراء حتى توارى .

وحان موعد صلاة العشاء فتوضأنا وصلينا — لأول مرة في حياتنا — لأن من شروط العزيمة ان نصلي اربع ركعات قبل ان نبدأ في مهمتنا . ثم جلسنا بعد ان وضعنا امامنا حفنة من حبات — الترمس — كان عددها الفاً وسبعمائة . وقد فعلنا هذا لكي ننقل حبة كلما تلونا العزيمة مرة ، حتى لا نخطىء في العدد . واغلقنا الباب واحكمنا النوافذ . حتى غدت الغرفة في ظلام دامس . وداخلنا شيء من الخوف . وتبادلنا النظرات دون ان ننبث . بيد اننا توكلنا على الله واضأنا الشمعة . ووضعناها في الصحن وبدأنا في تلاوة العزيمة . وكان نصها .

« اللهم بعدد الحصى والرمال . وقطرات الغيث وراسخات الجبال . ان تقوي من عزيمتي . وتشد من ازري . وتوفقني الى ما اريد . وانت يا طمشيش وانت ياجليس . اقسمت عليكما بخاتم السر الاعظم . وبالعرائس الاربع . ان تهيجا بدور بنت نفيسة ، بنت صفية ، بنت عائشة ، بنت حواء . فلا يقر لها قرار ولا يهدأ لها بال ، الا بطاعتي والحضور في حضرتي . على جناح الاحمر الميمون . . في التو والساعة . الواحا . . الواحا . . العجل . . العجل . . الساعة . . الساعة الوقت . . الوقت »

ومرت ساعة وحفنة الترمس امامنا لم تنقص الا قليلاً . وبدأ العرق يتصبب منا والتعب يحل بنا . وكنا كلما رأينا ذبالة الشمعة تتأرجح اخذتنا الرهبة وانتابنا الرعب وتدهورت انفاسنا من شدة

الخوف انتظاراً للحظة الهائلة. الى ان انتصف الليل وبدأت الشمعة تنطفىء، كما نقصت حفنة الترمس نقصاً كبيراً. وفجأة وعلى حين غرة منا وجدنا نفسنا ننتفض فرقاً تحت السرير الذي كنا جلوساً بجانبه. نتخبط في ظلام الغرفة المريب الرهيب. فقد حدثت المعجزة على غفلة منا وفوجئنا بضربة على الباب زلزلت البيت كله وانفتح لها الباب على مصراعيه. ودلف منه الشبح المخيف متدثراً بدثار ابيض يزأر زئيراً مخيفاً مرعباً. فلم نلبث ان وجدنا نفسنا تحت السرير نسأل الارض ان تميد بنا، او تنشق لنهرب. فقد اخذنا فلم نعد نحس ولا نشعر. وتعالى زئير الشبح وهو يقول بصوت لم نعرف له مثيلاً.

— حلت عليكما اللعنة يا ابناء آدم.

وصكت آذاننا. وجحظت عينانا وراحت في الظلام تبرق بريقاً مخيفاً مرعباً. ولما عقد الخوف لساننا فلم نجب. احسسنا الشبح يتكدر ويريد ان ينفذ الينا تحت السرير، فصعقنا وانقذفنا عند الباب. فاذا به امامنا يصرخ ويزأر بصوته المجلجل الاجوف ويردد — عليكما اللعنة يا ابناء آدم ماذا تريدون مني ومن ابنة الانس بدور —

ومددت يدي في الظلام الى زكي الذي تقلصت فرائصه ليجيب نيابة عني ويعتذر للشبح الكريم. لان لساني قد تخشب وتحجر بين شدقي. فوجدت زكي كأنه كتلة من الثلج يتصبب منها الماء البارد..

وعاد الشبح يصرخ في وجهنا ويزأر زئيره المخيف في عتمة الليل ويقول.

— انصرفا من امامي يا ابناء آدم الخبثاء.

فلبينا الامر ورحنا نزحف على الارض امامه حتى خرجنا من الغرفة. واذا به يفتح باب المسكن ويقول بنفس الصوت المريب.

— على السطوح .. على السطوح.

ورحنا نزحف على السلالم امامه كأننا كلبان ضريران نتخبط على الدرج، وكلما توانينا صرخ في وجهنا صرخاته المرعبة. وما ان بلغنا السطوح حتى كنا قد بللنا السلالم. وما ان بلغناها ايضاً حتى امرنا بأن نلقي بنفسينا من عليها الى الارض. وان هذه هي اسهل «موتة» تخيرها لنا: فقلت له وقد رأيت الموت بعيني.

— في عرضك.

فقال بصوت كالرعد. وان كانت فيه بحة غريبة.

— هذا جزاء من يقلق الاسياد. ويسخر الحدا، ايها الاوغاد.

فقلت له مرة اخرى.

— في عرضك:

وهنا تشجع زكي قليلاً او بمعنى آخر استيقظ يقظة الموت.

وزحف حتى بلغ مكان الشبح. وهوى على قدميه مقبلاً، واذا بالشبح هو «نجيب» يضحك ملء شدقيه بعد ان ازاح عن وجهه ملاءة السرير البيضاء التي تدثر بها.

ومكثت بعد تلك الليلة المشؤمة ثلاثة اسابيع طريح الفراش في مستشفى المدينة. ولم يجرؤ احدنا ان يطلع ابي على السر. حتى ولا نجيب نفسه الذي خاف من ابي فيما لو عرف انه هو الذي تسبب لي بهذه الكارثة التي كادت تقضي على حياتي. ثم مرت بعد ذلك ايام قاتلت فيها للشفاء وعدت الى المدرسة. وجاءت نهاية الاسبوع وعدت الى القرية بعد خمسة اسابيع لم ار فيها بدور التي اراني حبها الموت بعيني رأسي. وبينما انا عند الساقية اجتاز مدخل القرية على جسر القناة عند الساقية رأيت — الطبل البلدي — وزفة تسبقها جماعة كبيرة من الناس. ثم رأيت سرباً من النسوة تحمل واحدة — صينية القلل — وعلى كل قلة وردة حمراء.. واخرى تحمل صندوقاً من الخشب مزوقاً ومرسوماً عليه الهلالي سلامة — لعنه الله — وفي يده سيفه الباتر. ثم واحدة تحمل طستاً والابريق. ثم رابعة تحمل على رأسها حشية صفراء فاقعة. اما الخامسة فكانت تحمل حصيراً جديداً مخططاً بخطوط خضراء وحمراء. ومن هذا يتكون جهاز العرس الذي يسبق الزفة: ثم بعد ذلك «التختروان» يتمايل فوق ظهر جمل الحاج خطاب ابو عمر. ثم فتيان القرية وشبانها يلعبون «الحطب» ويقرعون النبابيت قرعاً خلف التختروان. فسألت الدرداش الذي كان يسير خلف الحمار الذي اركبه عن هذا الفرح. فقال في سذاجة وهو يضرب الحمار ليلحق بطلائع الزفة.

— دي زفة بدور. بنت عم سيد الأعمى. اتجوزت سالم العبدان نجار السواقي.

وما ان قال ذلك حتى طفرت الدموع من عيني. وراحت تنساب دافئة على خد شاحب حزين. وما زلت اذكر ان هذه كانت اول دموع شيع بها — الصبي — نعش غرامه الاول.

القاهرة — امين يوسف غراب

من المساء الاخير

قفزة الى الليل

بقلم يوسف اسحق الشاروني

صديقي

لا ، لا تحسب ان ثمة تحولاً جديداً حدث الليلة في حياتي فما التحولات في حياة الواحد منا الا امتدادات لخطواته الاولى ، وانما نحن نخدع أنفسنا بوهم البـدء من جديد كي نواصل الحركة بغير انقطاع .

أنا ما شاهدت الغروب الليلة يا صديقي كما تعودت ان أفعل كل أصيل منذ زمن بعيد ، حيث كنت هناك أبداً اعيش تجربة غروبها ، بل حدث شيء لم يكن في الحسبان رغم أنني اردته من كل كياني منذ زمن غير قريب ، ذلك أنني وجدتني الليلة اتجه عكس طريقي الذي تعودته والذي كان يؤدي بي دائماً نحو الغروب فسرت شطر الجهة التي تكون مع كل صباح وجهاً لشروق جديد . . . ولو أنني ما كنت ألمح الآن فيها غير ظلال العدم .

وكنت أجوس خلال حقول تحتضنها تلال المقطم ، فراقبت الجبل وهو يستحيل الى لون ظله الذي كان يزحف في غير بطء ، ويمتد هنا وهناك متسللاً الى الحنايا والكهوف والى كل ما انزوى خجلاً من فرحة النهار . وكان الغروب قد رسم للوقائع أشباحها فأخذت الوقائع تزول والاشباح تتضخم .

وتنبهت ذات لحظة الى أنني وصلت الآن الى حقل الورد الذي طالما اختلط عطره بعطرها وطالما ضمنا خلال ضباب رقيق من كل فجر خرجنا نستقبله معاً نقطف من هنا زهرة ونحيي هناك صبية ونحن نحمل معنا رؤانا وأحلامنا في غير هم ولا قلق . غير انني كنت الآن أسير وحدي والغروب قد عبر فقفزت الى الليل دفعة واحدة حيث رأيته كله امامي حتى لقد ضل عني الاحساس بالاتجاه فما عدت أعرف اين كان الغروب ولا من أية جهة يمكنني توقع مجيء الفجر .

وعرضت لي الساقية التي شهدنا معاً يوم مولدها وكانت متحركة أبداً . اما الآن فأشهدها ساكنة لا تدور حتى المياه لا تتدفق كالعهد بها بيضاء . جلست عند أحجارها أحدق في شجيرة شوك جرداء امامي فالفيت تحتها ما يشبه الغراب الميت . اما شجيرات الحقل فكانت جلها عريانة الا من بضع ازهار . لكن لا ، لم يكن الليل بلا انوار .

فمن خلال الشجيرة الجرداء لمحت الانوار البعيدة وهي تبدو خيوطاً تنبعث في أثر خيوط حتى امتلأ الليل بالمشاعـل من كل جانب حولي . بينما تحولت تلال المقطم الى شبه غيوم مثقلة هبطت على الارض حبلى بالرعود والبروق .

ومر امامي فلاحان كان أحدهما يقول للآخر في بطء : ان هذا مؤلم . . . فأتم الآخر : ألا نرى أطفالنـا الا من الليل حتى الليل . ثم اخذا يغيبان مع أصواتهما شيئاً فشيئاً حتى اختفيا مع الوقع . وغدا الليل كأنه قطعة من الحياة جمدها في المكان فنان من البشر بعد ما أودعها الارادة والتحفز .

وفجأة خلق الليل حركته ، فاكتست شجيرات الحديقـة وتفتحت أزهارها كأنما قفزت بدورها هي الاخرى الى الليل لكن بلا عطر . بينما الشجيرة الجرداء بدأت تتحرك . . .

عندما كنت أحب كنت احس بحقيقة التباور في هذا الحب اما الآن فقد تسرب الخوف الى قلبي ومع هذا الخوف احسست بالتشتت .

وبدأت الانوار ـ التي كنت ألمحها من خلال شجيرة الشوك الدكناء ـ تتراقص امام عيني ، فحاولت الفرار حين وجدتـني مسمراً الى الساقية وانا أسمعها من ورائي قد أخذت تدور بغير ان تتدفق منها مياه .

واندفع يمر امامي موكب من الاشبـاح : قامات سوداء كأنها شخصيات اضمحلت في النسيان ، او كأنها هي موضوعات ضاعت ذواتها في ذواتنا . وكان كل منهم يحمل مشعلاً . . . .

وعلى ضوء المشاعل رأيت بعضهم يلبس تيجاناً وبعضهم عرياناً ما بين رجال ونساء وأطفال من كل الشعوب ومن كل ادهار التاريخ . ينبثقون من العدم ويغيبون في العدم وهم ينشدون . وكان نشيدهم خليطاً من الضحك والعويل .

وفجأة تخلصت من احجار الساقية واستطعت ان أقف وانا احس وهم التباور ، فرفعت رأسي ومددت عنقي ابحث اين يمكن ان تكون هي بين هذا الموكب . وكنت أعرف ان مشعلها لا بد

وان يكون اكثر المشاعل توهجاً وان نشيدهــا سيكون احفى الاناشيد بالضحك والعويل .

وكنت قد جبت اليوم شوارع المدينة ومنحنياتها متوهماً انني سأجدها في آن ما وعند مكان ما ، رغم أنني كنت ادرك انها رحلت عن مدينتنا منذ زمان بعيد وانها لن تنوي ان تعود . واخيراً امنت بأنها هنا في هذا الموكب حيث ينبثق الوجود ما بين عدم وعدم . . . فاندفعت اريد اقتحام الموكب حين أدركت انني احيا في الوهم وانني وحيد والليل حولي وقد ضاع مني الاحساس بالاتجاه فعاد الي التشتت من جديد وتراخت ركبتاي وعدت اجلس عند احجار الساقية .

. . . . ولم يكن الليل بلا نيران ايضاً يا صديقي .

فقد اخذت الورود التي ازدهرت تذوي غير تاركة وراءهـا عطراً كلحظة تفتحها واخذت الساقية تهدأ شيئاً فشيئاً . وكانت ثمة أشياء تقفز الى العدم مـن حولي بينما اضطرب سير الموكب فاختلطت المشاعل بالاشباح واخذ النشيد يستحيـل الى صوت عاصفة . . اندلع معه حريق كبير واحتواني توهج اللهب والدخان — دون ان يعلق بي — في دائرته التي كانت تتسع حتى لتغيب أطرافها في الليل المنتشر .

واختلطت صفوف الاشباح وهي تئن وتحترق وقد تشبث كل اثنين منهم ببعضها بينما اندلع الحريق يزحف وصوت العاصفـة يعول حتى لقد اضطرب الجبل كله بالرعود والبروق واستحال الى كتل من اللهيب والدخان .

واخذ الحريق يبتعد وصوت العاصفة يبتعد حتى تلاشى كل شيء . حينما وقفت الساقية وانقطعت لا تدور ، بينما تلال المقطم بدت بسوادها القاتم عما حولها وبصخورها المبعثرة كأنما هي اكوام من رماد هذا الحريق الهائل وقد تناثرت فوقه أشلاء اكثر سواداً هنا وهناك .

ولم تبق سوى بعض تحققات هنا وهناك حيث تلاقت بضعة مدن وبضعة قرى تتسابق أنوارها في التلألؤ والارتفاع ، كأنها هي زحمة من الاحياء كانت تشهد حفلاً اوحدثاً ما . . . . وغدا الليل كأنه حب ضاع موضوعه .

وكان الغراب الميت لا يزال ملقى ، أمـا شجيرة الشوك فكانت قد احترقت دليلا على صدق توهمي !

فانطلقت أسير بلا قامة ولا عمر ، كي أواجه الليل أينما اتجهت .

القاهرة — يوسف اسحق الشاروني

الرجل الفاضل

تنتخب الانسانية في اجتيازها مراحل التطور الاجتماعي عضواً منها تتميز فيه على نحو بارز كل خصائص الحياة الواقعية التي يتعهدها الوعي ، وفوارق الاخلاق الوادعة التي تقويها الدماثة ، فاذا هو بهذا الانتخاب جزء من الانسانية في جزء من الحيـاة تتفاعل فيه قوة التوجيه في مقدور الارادة فتنمو طبيعة الفضيلة في الرجل الفاضل الذي نعنيه ، وينتج عن هذا النمو ظهور عقيدة مقبولة في باطن الشعب قد يتأثر بها بعض الناس ويعرض عنها البعض الآخر .

ان الاعراض عن مثل اعلى يدعو اليه كل فاضل لا يبطل ساطة النفسية المختارة على حقارة الانفس التي تعارضها ، فالذين يمتنعون عن الاقرار (بأصلحية) الرجل الفاضل والاخذ بمواهبه ، انما تمنعهم انانيتهم الرخيصة عن التسليم بمنطق الواقع . . وان تسامي النفس الفاضلة فوق تلك الحقارات والمزريات المعارضة هو انصهار الذاتية في جسم الجماعة اذ تسري استحالتها في دم الشعب فتنشطه وتهيئ له التنظيم الصالح الذي يقويه ويرفعه !

والذين يقولون بوجود زعامة معروفة في المجموع الانساني تتولى قيادة الناس اغرار ، فليس هناك زعامة حقيقية ، وانما هي فردية مستبدة عابثة عاونها الثراء ودفعها الحكم السياسي الخاطيء ، فاستولت على رقاب طائفة من الضعفاء ، وامتطت فوق ظهورهم ، فتبدلت احوال هؤلاء من ان يكونوا اناساً الى كونهم سائمة ومن يتخذ لنفسه صفة حيوانية غير صفته الانسانية فقد اصيب بانهيار لا يلافيه الا الموت .

والجمعية الانسانية بحاجة الى رجل فاضل تطمئن الى امانته على مصالحها قبل حاجتها الى متفرد مستبد يقطع طريقها الاجتماعي ليسلبها حقها وحريتها وكرامتها ، ولئن كان القصاص يتنزل بالسارق المضطر وينفذ بشدة ، فخليق بالشعب ان يقول كلمته في اولئك الذين يسرقون كرامته وحريته عن اختيار وتعمد ، والشعب مهدور الكلمة اذا لم يكن فيه من الرجال الافاضل من يعبر عن رأيه تعبيراً جريئاً وهم بهذا التعبير يمثلون — ولا شك — كلمته الناطقة في منطق الحق . انا نؤمن بالالتجاء الى قانون بقاء الاصلح عندما تتواثب الاضداد — على مبدأ الرجل الفاضل — من انصار الرجعية ، فكل حركة اصلاحية يكون معناها مهملاً من التأثير اذا لم يقرنها الاستعداد الدافع والمجابهة الثابتة . . .

ديوربن — ميشغن — عبد الله بري

التطور فلسفة للحياة

بقلم مظهر علم الدين

☆



فئة من الباحثين تميل الى الاعتقاد بان مذهب التطور لا يضلع بتفسير ماهية الحياة او بتبيين سرها او الكشف عما اعتاص من امرها ، بل جل امره انه حكاية نشوء الاحياء دون تعليل او افصاح !

والحق انه وهم بعيد كل البعد عن محجة الصواب، وهو لا يدل على شيء مثل دلالته على اقتصار درسها لمذهب التطور على وجهته العضوية دون تعمق اهم ناحية من مباحثه وهي الناحية الفلسفية .

ولا ريب في اننا اذا القينا نظرة امعان على اية ظاهرة في الحياة عضوية كانت ام ادبية ، نرى عنصراً اساسياً كان السبب الرئيسي في تكوين هذه الظاهرة حسب شكلها الراهن وهو « التغير » . والتغير هو صفة ملابسة لفكرة التطور لذا كان من الصعب الفصل بين الفكرتين على الرغم من ان مدلول التطور اكثر تحديداً من التغير .

والتطور هو الذي وصل بالاحياء الى حالتها الحديثة وغير الظواهر الطبيعية والاجتماعية من حالة الى اخرى ، فيعسر على الباحث ان يفصل بين فكرة التغير وبين الظاهرة او ان يفهم هذه الظاهرة بصورة مجردة عن فكرة تطورها .

والواقع اننا لا نستطيع ان نفهم اي حادث طبيعي او ظاهرة اجتماعية دون تفهم تاريخها تفهماً صحيحاً فهل نستطيع مثلاً ان نفهم فكرة الدولة مجردة عن تاريخها التطوري، ومن ذا الذي ينكر ان مفهومنا للفلسفة يكون ناقصاً فيما لو اهملنا تاريخها التطوري، ففهمنا اذن للاشياء والحوادث لا يكمل ما لم نفهم فكرة التغير فيهما، ودون ان نلم بتاريخها التطوري ما دامت كونية الاحياء والحوادث تتصل بمبدإ التطور . فالانسان لم يصبح انساناً بشكله الحاضر الا بعد ان عمل التطور في الخلية الحية الاولى عمله وتدرج بها ضمن مراتب نشوئية عديدة ، فمذهب التطور اذن لا يقتصر على الوصف فقط بل يفسر لنا حقائق الموجودات وظواهر الاجتماع وكيفية تكونهما ويلقي ضوءاً تفسيرياً ساطعاً عن حالتهما فهو يفسر لنا احسن التفسير ماهية الانسان وكيف كان وكيف سيصبح وكذلك يستطيع ان يعلل لنا سر وجود الدين ومنشأه الخ . فالتطور هو سر الحياة المبدع وهو جمال الحياة الخالد ، وهو خير فلسفة تستطيع ان تفسر ظواهر الحياة والطبيعة والاجتماع .

معنى التطور

يجبل كثير من العلماء الى الاعتقاد بان التطور يفيد في مدلوله فكرة الارتقاء والتغير من حالة بسيطة متجانسة الى حالة مركبة متنافرة ، على اننا لا نأخذ بقسط وافر من التعمق حتى نرى مقدار ما يشوب هذا الرأي من الخطأ . فالتطور او النشوء يفيد في معناه فكرتي الارتقاء والتقهقر[1] معاً . فارتقاء مرتبة الطيور من الزواحف هو تطور كما ان انقراض نوع من الانواع هو تطور .

والتطور يعني حالين آخريين فهو يعني على السواء التحول من حالة التجانس والتماثل الى حالة التعقيد والتنافر كما انه يفيد التحول من حالة التنافر والتعقيد الى حالة التشابه والبساطة فارتقاء الجهاز النفسي وتخصصه هو تطور كما ان تحول قدم الحصان من قدم ذات خمسة اصابع الى حافر صلب متماثل هو نوع من النشوء .

ومبدأ الارتقاء نتيجة من عمل قانون الانتخاب الطبيعي الذي يهدف الى انتخاب وبقاء «الانسب» بعد معركة التنازع على البقاء . اما فكرة « الانسب » فهي مسألة نسبية تتعلق بالحاجات الطبيعية والاجتماعية وخصائص المكان والزمان، على انها تعني دائماً الاصلح سواء كان من ناحية القوة والجمال ام من ناحية الكفاءة العقلية والاجتماعية .

ومن المشاهد ان قانون الانتخاب الطبيعي يعمل بصورة عامة

(١) يعني التقهقر Devolution ويفيد فكرة Degeneration ولعله من الممكن الاستغناء عن التقهقر باصطلاح « الانقراض » .

لمصلحة الاكثرية، فهو يتوخى مصلحة الاكثرية المطلقة لا مصلحة الافراد . والعجب العجاب ان ترى هذه الآثار الواعية المحكمة لعمله بينما هو في عمله يدور بصورة لا شعورية غير واعية . ولعل القاريء يتساءل عن حكمة هذا القانون وسر هذا الامر ولكن كلما حاولنا استكناه خفاياه اعتاص علينا المشكل وجزنا من جهل بسيط الى جهل مركب .

نظريات التطور الفلسفية

خير من عني بدراسة التطور من الوجهة الفلسفية هم الاساتذة هربرت سبنسر في فلسفته الانشائية (Synthetic Philosophie) ومورغان في نظريته «النشؤ البازغ» (Emergent Evolution) وبرغسون في نظريته « التطور المبدع » (l'Evolution Créatrice) والمرشال ممطس في نظريته « الكليات » (Nolism) واوغست كونت في نظريته « قانون الدرجات الثلاث » (The law of the three degrees) ثم الاستاذ « بختر » في فلسفته عن النشوء ولن نحاول في هذه العجالة شرح هذه النظريات الفلسفية ولكننا سنوجز كلمة عن كل منهـا بقدر المستطاع .

يؤمن العلامة سبنسر بان النشوء ناموس عام يؤثر في الانسان تأثيره في الطبيعة والفلك والحيوان والاجتماع . فهو قانون شامل يطبق على جميع الموجودات وقد عني الاستاذ « سبنسر » بالنشوء الاجتماعي فطبق قوانين النشوء العامة كالتنازع على البقاء والانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب على معظم الظواهر الاجتماعية كالدين والفن والدولة الخ حتى استطاع ان يظهر منشأ هذه المؤسسات ويعلل اسباب وجودها وان يستكنه شيئاً عن اتجاهاتها التطورية في المستقبل .

اما العلامة «مورغان» فهو يؤمن بان حركة التطور هي حركة عضوية محضة وان هنالك آفاقاً ومراتب في النشوء تبزغ على نحو لا يمكن التنبؤ عنها مسبقاً او ادراكها او وضع ضوابط وقواعد يمكن ان تسير عليها ، فالآفاق الجديدة البازغة قد تختلف كل الاختلاف عن الآفاق التي بزغت منها . فملح الطعام تولد عن اجتماع عنصري الصوديوم والكلور واتحادهما معاً حتى ان الملح اصبح ذا صفات مختلفة كل الاختلاف عن العناصر التي تألف منها كالملوحة والبياض وقابليته للتفاعل مع مواد اخرى ، وهذه الصفات البازغة لا يمكن بوجه ما معرفتها مسبقاً او التنبؤ عنها . ويرى المرشال « ممطس » ان للكليات مميزات وصفات مختلفة عن الجزئيات بحيث انه يبزغ من اجتماع الجزئيات افق جديد وهو الكل بحسب رأي « ممطس » يتميز بخصال والوان جديدة مختلفة عن افراده ، واجتماع الخلايا في جسم الانسان ينتج عنه جسم يتغاير من حيث المميزات عن الخلية الحية المنفردة . ويشارك « برغسون » زميله «مورغان» في ان حركة التطور لا يمكن ضبطها او التنبؤ عنها او معرفتهـا مسبقاً وان التطور يبدع في حركته آفاقاً جديدة ذات مظـاهر والوان طارفة وان البـاعث على ذلك قوة خفية في الحيـاة هي الدافع الحيوي (élenvital) هذا الدافع هو الذي يدفع بالعضويات نحو الارتقاء ويبعث التطور على الابداع .

اما « كونت » فانه خير من حاول تقسيم تطور الفكر الى ادوار نشوئية واطوار غـائية تبعاً لآثاره بحقبة معينة من الزمن . وقد بين في نظريته «قانون الدرجات الثلاث» ان الفكر البشري مر في ثلاثة آفـاق : الدور المثولوجي ويتميز بخضوع التفكير الانساني للاساطير وسيطرة الخرافات والتقاليد على الفكر حتى انه لا يستطيع ان يفكر تفكيراً مجرداً او ان يبتعد عن المـادة ولو قليلا ! والافق الثاني الذي اجتازه الفكر هو الافق الغيبي ويتميز بسيطرة الدين على الفكر وتوجيه الغيبيات له توجيهاً تاماً وبعده عن جادة التفكير الموضوعي (Objectivity) . اما الافق الثالث الذي بدأ به الفكر ولم يكمل سيره فيه هو الافق الطبيعي او العلمي ويتميز بموضوعية الفكر من حيث التفكير وانحرافه عن جادة الوهميات والغيبيات واتباعه اساليب علمية في التفكير وفي النظر الى الحياة .

والحق اننا لا نستطيع ان نفهم تطور الفكر الا من ناحية آثاره ، امـا « كونت » فانه على الرغم من خطأه من حيث تحكمه في التاريخ ، فقد كان اقدر من استطاع ان يظهر تطور الفكر عن طريق استجماع آثاره ، وكان ابرز من حاول تفسير درجات تطور الفكر بتصنيف آثاره تبعاً لمميزاتها .

بقي لنا كلمة اخيرة نود ان نقولها حول فلسفة الاستاذ «بختر» في التطور ، هذه الفلسفة التي شرحها الدكتور شبلي شميل ونقل عنها آراءه وافكاره ، والتي لا يمكن ان نسميها بصورة ما فلسفة للتطور اذ انها الفلسفة المادية بابرز مظاهرها وهي بعيدة كل البعد عن فلسفة التطور . والواقع ان نقل الافكار المادية من قبل الدكتور شميل ، وادعاء انها فلسفة التطور ، اوجدا عند كثير من الناس في الشرق العربي فكرة مغلوطة عن مذهب التطور مما يصعب على شراح وعلماء هذا البحث ازالتها بسهولة .

دمشق — المحامي مظهر علم الدين

امل فلاح

☆

لنسيم نصر

الشويفات

ما محا الجدبُ من رؤى إيمانه — أو تبدّى القنوط في ميدانه
باقر الأرض بكرةً وأصيلًا — وفسيح الرجاء ملء جنانه
زارعٌ يُنبتُ الأماني ربيعاً — يُخجلُ الفجرَ في سنا ألوانه
يستدرُ الفضاء دفأً وريّاً — فترفّ الظلال في نيسانه
يثخن الارض بالجراح فتجري — من ثخين الجراح خمرُ دنانه
ويشقّ الثرى بمعوله الصلد — فتندى الغصون في بستانه
ويرشّ البذار يُلحده الثلم — فتسري الحياة في أكفانه
بُوركَ القوتُ خبزاً نجتنيه ، — من غمار الزرّاع ، فضل بنانه

***

يا لوحيٍ من الأماني عليه — من سمات الخلود خير أمانه !
يُلهمُ الصبر والعزاء فيشفي — موجع الصدر من لظى أحزانه
ذاك عزم الحياة بكراً تفشى — في ذراع الفلاح بكر زمانه
يفتل الساعد الهزيل ويوحي — بسمة العيش في أشقّ مكانه
يعجن اللقمة الطهور بماء — من جبين السخا وراح جفانه
ويذرّ الهناء براً عجيباً — فيزيل الشقاء من عنفوانه
عوده الغصن ، والطيور عليه ، — من رفيع الغناء ، كل حسانه
يألفُ الغصن مائساً فيغني — فاتنات الرياض في ألحانه
وهبوب النسيم نايٌ تهاوت — همسات الخلود في تحنانه

***

أملٌ يجمع الفصول كتاباً — يجعلُ العلم غفلةً في بيانه
يبدل العلم ماكراً او أذياً — بكتاب الوجود في غفرانه
وكتاب الوجود إعجاز فهمٍ — ناب فيه الفلاح عن لقمانه
يحقرُ الجوّ والبحارَ تلظّت — بجحيم النزّاع في طغيانه
ويحب الثرى منابت غرس — ليس يجري النجيع في أغصانه
ما تشهى بواذخاً من بناء — يتداعى بالشر من أركانه
إن في كوخه الحقير لمعنًى — يستخف القصور في ميزانه

***

أملٌ يشحذ التراب ويغري — جبهة الصخر منبتاً لجنانه
ويفيضُ النبات خيراً عميماً — يغرق الفقر في غنى فيضانه
أمل ذوّب الشعاع رحيقاً — تستفيق الحياة في نشوانه
ذاك بكرُ المنى يظل فتياً — ما اتيح البقاء في انسانه

ايكون حيواناً اجتماعياً ومدنياً ذلك الانسان

بقلم حنا نمر

☆

من النظريات الشائعة التي ينزلها الفلاسفة والمتفلسفة منزلة الحقائق البدهية ، ويدرسونها ناموساً ثابتاً لا يقبل نقضاً ولا يحتمل بحثاً — مدنية الانسان بالطبع — قال ارسطو : الانسان حيوان اجتماعي ، وقل ان قام من الفلاسفة من خالف المعلم الاول في رأيه ، فالتاريخ في عرفهم لم يذكر ان الانسان عاش منفرداً قط ، بل كان منذ كان يؤلف هيئات اجتماعية تكبر وتصغر حسب مقتضى الحال وتأثير الاقليم والمحيط .

أما العلم الحديث فيرى ان الانسان انفرادي بالطبع ، وان اجتماعه من صنع يديه ، لا هبة من الطبيعة جادت به عليه وسلحته بعُدده .

ويعود الخلاف بين الفلسفة والعلم الحديث الى تحديد الطبع والاجتماع فهي ترى في الطبع مجموعة من العواطف والميول والغرائز تدرس مظاهرها ، وبالاجتماع حب الالفة والانس والتعاون مما يرثه الابناء عن الآباء ، اما العلم فيعود الى ما قبل التاريخ ليرى ان العواطف والميول نتيجة لا أصل ، واكتساب لا طبع ، وان للاجتماع في الانسان أسباباً حملته عليه حملاً ، واضطرتـــه الى التعاون اضطراراً .

ولا يكون الاجتماع طبعاً الا اذا عجز الفرد عن الحياة وحده وليس في طبع الانسان وتركيبه الفزيولوجي ما يمنعه من مثل هذه الحياة ، واذا كان الانسان حيواناً اجتماعياً فالاسد حيوان اجتماعي — ولا فرق بينهما بالطبع — اما الذئب فهو أرقى منهما اجتماعاً :

والحيوانات الاجتماعية بالطبع غير كثيرة وأشهرها النحل والنمل فالنحل اقسام ثلاثة لا يحيا أحدها دون الآخر ، وتركيب اليعسوب الفسيولوجي غير تركيب العاملة ، وجسم هذه غير جسم تلك ، ولكن هذا الخلاف لا يصل الى البيضة فبيضة اليعسوب كبيضة العاملة ، ولكن غذاءها بعد النقف غير غذاء العاملة ، اما الذكور فتنقف من بيوض غير ملقحة .

وانواع النحل نحو من ألفين وكلها اقرب الى الحياة الاجتماعية الطبيعية في النحل والانسان ففيها الجندي الذي لا يحسن غير القتال ، وهو جندي منذ تكونه ، وفيها العامل العقيم غير المجنح وفيها الولود المجنح ، وبين عمال بعضه صغير الجسم وكبيره وبين الجنود القائد والجندي ، واذا خرجت الجماعة للغزو والقتال سارت الصغيرة مثل جنود صفوفاً مستطيلة منتظمة ، وتفرقت الكبيرة مثل قادة افراداً على جانبيها تدير الصفوف وتحرسها ، ومثل هذه الجماعة لا يستغني بعضها عن بعض وأول شروط الاجتماع ان تكون حياة الفرد متصلة بحياة الجماعة فلا غنى له عنها .

ومن النمل أنواع لا تحسن غير الغزو والقتـــال ، وليس في جماعاتها غير الجندي والولود فاذا لم تستطع ان تجد لها رفيقاً يجمع لها الطعام ماتت جوعا :

ومن الحيوانات الاجتماعية الارضة ، وأقسام جماعتها أربعة : (١) الولود المجنحة (٢) الولود غير المجنحة (٣) العامل (٤) الجندي ولكل قسم منها عمل خاص به لا يحسن غيره ولا يستطيع سواه ، ولذلك كانت حيوانات اجتماعية طبعاً وطبيعة ، فحياة بعضها تتوقف على حياة بعضها الآخر ، ولكل قسم تركيب فسيولوجي خاص فلا يستطيع الفرد ان يعمل عملاً لم يخلق له ، ولو أراده أما الانسان فيستطيع ان يكون نجاراً اذا لم تعجبه الخياطة ويقدر ان يكون جندياً اذا لم يوفق في التجارة والصناعة ، ولذلك كان اجتماعـــه مكتسباً لا طبعاً .

والعلم الحديث يرى ان الغرائز نفسها اكتسابية ، وقد اقتضاها المحيط ، وتطلبتها الحاجة ، والجأ اليها طراز الحياة فأصبحت عادة ، ثم اصبحت العادة لازمة لا غنى للحياة عنها فتحولت غريزة ، والفرق بينها وبين العادة ان هذه شخصية لا تورث ، وان الغريزة تنتقل من الآباء والامهات الى الابناء والبنات بالوراثة .

لما الانسان فيولد وليس له ما يتمتع به من الغرائز غير اثنتين هما غريزة الاغتذاء ومظهرها الرضاعة ، وغريزة الحيازة ومظهرها القبض بيديه ، واذا كان بعض العلماء يرى ان فيه غرائز كامنة تظهر عند الحاجة اليها ، فان هذه الغرائز اقرب الى الاكتساب منها الى الطبع ، وهي لا تستند الى اعضاء فسيولوجية خاصة ، وليس لها في الجسم مراكز معينة .

ويخلط الفلاسفة والمتفلسفة بين الاجتماع والتعاون فيطوقون جيد الاجتماع بصفات لا تمت اليه بصلة ، وان كان كل منهما غير الانفراد فلا يعني انهما واحد ، واذا حلا لبعضهم ان يرى في التقليد غريزة اجتماعية وانه اول صورة من صور العطف والمحبة ففراخ الدجاجة تقلد امها ، وليست الدجاجة حيواناً اجتماعياً ، وفرخ الطير كله يقلد الكبير في طيرانه وليس الطير حيواناً اجتماعياً ومثل الطير الحيوان والانسان :

واذا كان حب الزوج زوجه ، والاخ أخاه ، والوالدين اولادهما من مظاهر اجتماع الانسان فالاسد الذي يجود بحياته فداء اللبوة والشبل حيوان اجتماعي راق ، ومثله الكلب الذي يصحب كلاب الجيران الخ ولكن الاجتماع بالطبع غير هذا وغير ذاك .

واذا كان الانسان قد ألف هيئة اجتماعية راقية ، فانه قد ألفها من جماعات لا يستغني بعضها عن بعض في اكتساب طعامه وحماية نفسه ، اما العطف والمحبة والتقليد وما اليها فانها من صفات التعاون ، وقد كان مثل هذه الغرائز سبباً في تعاون الانسان ، وكان التعاون سبباً في اجتماعه ، وكان العقل والادراك سلاحه في تأليفه هيئته الاجتماعية الراقية .

التعاون غير الاجتماع

يختلف التعاون عن الاجتماع في ان الجماعات المتعاونة لا تحتاج الى التخصص في الاعمال ، ولا هي مضطرة الى الاعتماد على سواها في اكتساب غذائها وضروريات حياتها ، وليس في تركيب اجسامها ما يفصل بين جماعة وجماعة .

والحيوانات التعاونية كثيرة ولتعاونها اسباب مختلفة تعود كلها الى حفظ النوع وبقائه وتسهيل أسباب حياته ، واكثر الحيوانات التعاونية يعيش قطعاناً يسند بعضها بعضاً في هجومها ودفاعها ، وتتعاون في كسب طعامها وبناء مساكنها .

ومن الحيوانات التعاونية الطيور القواطع تجتمع أسراباً تتعاون في كسب الغذاء وورد العاديات والاهتداء الى طريقها تتبع أدلاء خبراء بطرق السير وأحوال البلاد التي تقطعها .

ومنها البقر والأيل والجاموس تجتمع قطعاناً لرد هجمات أعدائها ، ومنها الذئاب تتعاون في طلب طعامها فيصيب قطيع الذئاب من قطيع البقر ما لا يصيبه الفرد ، ومنها عجول البحر فهي تتعاون في بناء السدود ، ومنها القعاقع والغربان وغيرها كثير .

الانسان حيوان انفرادي بالسليقة ، وهمجي بالطبع

الانسان همجي بالطبع ، وحيوان انفرادي بالسليقة وقد ابتدأ تاريخه بالانفراد لا بالاجتماع ، وحياة الهمجي ما تزال الى اليوم انفرادية ، ولا شك في ان الانسان اتخذ له من كلبه صديقاً قبل ان يتخذه من اخيه ، ومما لا يختلف فيه اثنان ان الانسان كان من ألد اعداء الانسان قال الشاعر العربي :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى ... وصوّت انسان فكدت اطير

وعداوة الانسان للانسان سليقة وطبع ، تتغلغل جذورها الى اعماق الحياة ، وطعام الانسان قليل محدود ، فهو بحكم تركيبه الفسيولوجي لايقدر أن يأكل الكلأ والعشب كالغنم والبقر ، ولا يستطيع أن يجوب البلدان في طلب رزقه كالطيور القواطع ، وقد قدر علماء الانتولوجيا أن الزوج من البشر يحتاج الى ثمانية الف هكتار من أراضي الاقاليم المعتدلة لتقوم بأوده اذا لم يزرع أو يرب الحيوان .

والانفرادية الهمجي تظهر في صميم حياته فهو نشيط شجاع اذا جاع ، وكسول خامل اذا شبع وما نزال نحن ابناء الحضارة والتمدين نعاني شدائد هذه السجايا القديمة ، وليس الكسل والنوم عن المستقبل من طباع الاجتماع .

وتنقص الهمجي صفة الطموح هذه القوة الهائلة التي سارت بالانسان في طريق الاجتماع وخرجت به عن دائرة الحاضر الضيقة الى فضاء المستقبل الواسع ، وما تزال سائرة به في سبل الارتقاء والتعاون والتفكير ما دامت الانسانية خالدة لا تموت .

ومن البراهين القاطعة على انفرادية الانسان الاول ، الناطقة بطباعه الهمجية انه ما يزال في بعض انحاء العالم بشر يعيشون في الغابات منفردين ، ويسكنون الاشجار متفرقين ، لا يرى الواحد منهم اخاه حتى يبادر الى قتاله ، وما يزال في تسمانيا واوستراليا ومجاهل الأمازون بشر يتسلحون بالاغصان لا يعرفون غيرها آلة ، ويعيشون على الاثمار وصيد الحيوانات لا يزرعون ولا يرعون ولانظن هؤلاء حيوانات اجتماعية ، أو انهم مدنيون بالطبع .

ولكن الهمجي لا يخلو من صفات التعاون — لا الاجتماع — فهو يميل الى زوجاته وأولاده ، وهو يعطف على والديه وإخوته وأخواته ،

وقد كان هذا الميل سبباً في تفاوته ، وكان هذا العطف سوطاً يلهبه ويحثه على الاجتماع .

والانسان من أضعف الحيوانات جسماً وعقلاً عند ولادته، فهو مجرد من سلاح الهجوم والدفاع، لا مخالب قوية له يمزق بها فريساته ولا أنياب تساعده على الفتك بأعدائه ، وهو بلا غطاء من صوف أو شعر او وبر يقيـــه عوادي الحر والقر ، وليس له من الغرائز الموروثة ما يحميه من شر الطبيعـــة وتعدّي الحيوان ، وهو فوق ذلك كله من أبطأ الحيوانات في اكتساب القوى اللازمة لحاجاته ، فلا يستطيع ان يسعى في كسب طعامه قبل السابعة او الثامنة من عمره ، ولكن ضعفه اضطره الى التعاون، وبطء نموه قاده الى الرقي فالاجتماع . فالضعف ألجأه الى الاعتماد على مواهبه العقلية القابلة للرقي رقياً لا حد له، وباتكاله على والديه في معيشته تفرغ للعب واللعب اساس العمل ، وطول طفولته اسس بينه وبين والديه واخوتـــه واخواته رباطاً مقدساً كان سبباً في نشوء الرئاسة الابوية ومنهـــا نشأت الاسرة فالقبيلة فالامة .

وقبل ان يستطيع الانسان السعي يولد له اخوة وأخوات يلعب معهم ويخضعون الى سلطان الاب والام فينشأ بينهم اجتماع لا يعكره غير قلة الطعام ، ولكن الحيوانات الضعيفة كثيرة ولم ينشأ بين أفرادها تعاون واجتماع لان العقل ينقصها والفهم يعوزها، والانسان لم يجتمع الا بعقله، ولم يرق ويتمدن الا بذكائه وفهمه .

وزاد في تعاون الانسان واجتماعه تربيته للحيوان واعتناؤه به، ومن يجبر عظم كلبه المكسورة رجله ، وينتشل ثوره من حفرة وقع فيها يميل الى مساعدة اخيه الانسان على شرط ألا يكون الموقف موقف نزاع وجهاد .

واضطر الانسان الى التعاون في كسب القوت — كما يفعل الذئب — والاجتماع في محاربة أعدائه — كما يفعل بعض الطـــير والحيوان — فنشأت الاسر ثم تكونت القبائل وكانت في أول امرها ضيقة النطاق لا تتجاوز الواحدة منها بضع عيال متحدة ، وكانت عاداتها مؤتلفة وعادات افرادها، ومبلغ فهمهم من التعاون والاجتماع فكان بعضها حرباً على بعض ، وكان الخصم يأكل لحم خصمه ، وكان الاب احياناً يأكل ابناءه ، وكانت القبيلة كثيراً ما تقتل صغارها خوفاً من ان يكثر عددها فتضيق بها آفاق رزقها ، وما وأد البنات عنا ببعيد ، وهذه الصفات وما اليها أقرب الى الهمجية والانفراد منها الى المدنية والاجتماع .

وظل الانسان على هذه الحال من الهمجية والانفراد حتى زرع النبات ، وربى الحيوان فكثر طعامه، ووفر نتاجه ، وما ان ارتاح من الاهتمام بطعامه حتى انصرف الى عقله يرقيه ، ومعارفه يرقى بها فرقت عواطفه ولانت نفسه ، وبعد ان كان همه محصوراً بيومه ، تفرغ الى التفكير بغده ، وتدبير حاجات مستقبله ، وكانت هذه الحاجات همجية لا تتعدى الحروب والغارات على القبائل الاخرى حفظاً لكيان القبيلة ، واطمئناناً الى مستقبلها ، ولذلك كان من الطبيعي ان ينشأ التمدن في بلدان لها من العزلة الطبيعية ما يمنع عنها غارات الاعداء كوادي النيل ، والهلال الخصيب .

اجتماع الانسان صنع يديه

واجتماع

الانسان صنع يديه وابتداع عقله فالطبيعة لم تفرق بين افراده — سجية وطبعاً وتركيباً — فتوزع عليهم الاعمال كما فعلت بالنحل والنمل ، وفي استطاعة كل ذكر وانثى منا أن يعيشا منفردين ويقوما وحدهما بأسباب الحياة والبقاء .

ولكن الطبيعة هيأت الانسان تهييئاً امده بالعقل الراجح، والكلام الواضح ، والابتسامة الحلوة العذبة فكان العقل سبيل التعاون ، والكلام سبيل التفاهم ، والابتسامة طريق العطف والمشاركة في العواطف والميول .

واذا كان الاجتماع البشري من ثمار العقل ، فالعقل كفيل بترقيته واحكام اسبابه ومظاهره ، واذا كان العقل البشري قد قضى على الهمجية والانفراد وأكل لحوم البشر ، وقتال القبائل ووأد البنات ، وتضحية الاولاد قرابين للالهة ، الى آخر مـــا هنالك من همجية ووحشية وانفراد ، فهو قادر على نشر التعليم بين الجماهير حتى تفهم حقوقها وترقي عقولها فيقضي على حكم العاطفة والغريزة والتقليد ولو عقل الانسان لفهم أن مصلحته ترتبط بمصلحة أخيه ، وأن خير الهيئة الاجتماعية بهناء أفرادها واخائهم وتعاونهم .

والعقل الذي أبدع في الاختراع وحلق في الفهم والعلم لا يعجز عن أن يبدع في الاخلاق ، ولا يضعف عن أن يرقى بالهيئة الاجتماعية البشرية الى ذرى التعاون والاجتماع ، ولن يكون الفوز في المستقبل للطبيعه الغاشمة بل الفوز لفهم الانسان وذكائه ولن تكون النصرة للعواطف الهمجية ، والغرائز الانفرادية بل للوعي والفهم والادراك وخير لنا أن تكون المدنية من صنعنا فنستطيع أن نرقى بها وأن يكون الاجتماع ثمار عقولنا ونتاج مداركنا فنسعى في تحسينه وتكميله .

حنا نمر

ليلة تشرين الثاني

*

للشاعرة الاميركية سارة تيسديل
عن ديوانها اغاريد الحب

هناك! انظر الى صف الاضواء ،
سلسلة النجوم المتألقة على جانبي الطريق —
لمَ لا تستطيع ان ترفع هذه السلسلة وتعطينيها
لأجعل منها قلادة تحلي نحري؟! سألفها حوله
وستستطيع ان تلهو بها . أنت تضحك مني
وتخالني طفلة صغيرة تحيا الجنيات أمام
عينيها ... وانظر الى الناس
السائرين في الطريق ، يرمقوننا
بحسد . نحن مليك ومليكة ،
عربتنا الملكية سيارة حافلة ،
نرقب منها رعيتنا بفرح متغطرس ...
ما أجلك ! أكان عملك شاقاً
فأنت ، الليلة ، متعب؟ان زمناً طويلاً قد مر
منذ رأيتك آخر مرة — أربعة أيام كاملة .
ان قلبي اليوم مليء بأفكار ،
مثل أزاهير مروج شباط ،
ويجب علي ان أهبكها كلها ،
قبل ذبولها . الناس الذين قابلتهم
والمسرحية التي شاهدتها ، والاشياء التافهة
التي تلوح متغيرة الاشكال ،
فتعظم حيناً وتصغر حيناً آخر
والظلال المسرعة في حركتها على الجدار ،
هذه المشاهد تتحقق طراً
ويضمها قلبي بكامل هيئتها وحجمها .

***

بحيرة من النور ! يبدو لي الليلة
ان كل الاضواء قد تجمعت في عينيك .
انظر الى المتنزه المفتوح
فها نحن نشرف عليه وقد ضوأ فيه
مليون مصباح
متناثرة في اضطراب حكيم تناثر النجوم
هلم اذن ، ولنسر ما دمنا
قد وصلنا الى المتنزه ،
انها روضتنا ، أمست حالكة السواد
غير مزهرة في هذه الليلة الشاتية ،
ولكننا حملنا معنا نيسان .. أنا وانت ،
وأحسب ان كل خطوة خطوناها
قد انطبعت آثارها بنار خفية ،
بابريز نفيس لا يراه سوى الجن ،
فاذا ما استيقظوا فجراً في
جذوع الشجر الاجوف
وخرجوا الى المتنزه الوسنان ،
ثم توضحوا الطريق الخالي فسوف يقولون .
« آه ، من هنا مرا ، ومن هنا ، ومن هنا !
تعالوا وانظروا فهنا تجالسهما ، هاتوا
ايديكم ولنرقص حوله
في حلقة نرسم من حولها دائرة
لا يستطيع عبورها غيرهما
فاذا ما عادا عبراها : » وانظر الى البحيرة —
أتذكر كيف راقبنا الوز النائم
في تلك الليلة الفاتنة ،
من ليالي تشرين الثاني ؟
لابد ان الوز كان يحلم أحلاماً جليلة
ولكن الآن ، ما عادت البحيرة
تحمل غير أضواء منعكسة رقيقة ،
تهتز قليلا . كم أحن الى ان آخذ
من البحيرة السوداء اللامعة ، أحد هذه
الأضواء بل بعض هذا الابريز ،
لأعطيكه في يدك !
وانظر ! وانظر ! فهناك نجم
في أعماق البحيرة ، نجم !
آه ، انه أعتم من لؤلؤة —
وائن انحنيت ، فان يدك تستطيع
الوصول اليه ، لترفعه إلي ! ...
ان في السماء الليلة بدراً واهناً أصفر —
كم أتمنى ان أجعله كأساً ،
لتملأها لي حتى حوافها بنجوم كالندى ..
ما أشد البرد ! حتى النجوم باردة ،
فها هي قد التفت بالضباب
انظر ! ماذا سيحدث لو جن علينا الليل
فضللنا سبيلنا ، ونحن نغذ السرى
خلال المسالك التي جددها الضباب
الذي يتقهقر أمامنا ما سرنا ....
يا لها من ليلة فضية !
هنا كان مجلسنا في تلك الليلة التي انشدتني
فيها القصيدة الطويلة الجديدة ،
ولكن ما أشد ما تختلف هذه الليلة
التي يلف سدل الضباب أشجارها ،
عن تلك الليلة !
لا هواء في الجو ،
ولكن في السماء اشرطة كتابة عظيمة الحجم
تنقش نفسها ، وتظل تتغير في الضباب .
سر قليلاً ، ودعني أقف هنا لأراقب
ما حولي ولأنظر اليك ايضاً ،
وقد بدوت غريباً ، ونائياً عني ....
لطالما تساءلت عاجبة ،
ماذا ستكون حال المتنزه
لو استطعنا في ليلة من الليالي ان نملكه وحدنا
فلا نرى عشاقاً متخاصرين
يتهامسون فيحطمون أحلامنا ؟
وها نحن الآن نملكه !
ان امنياتي كلها قد تحققت !
نحن الآن وحدنا ، في عالم صوفي ،
حتى النجوم قد أفلت ،
نحن الاثنان وحدنا !

البصرة رزوق فرج رزوق

صور

بقلم توفيق البازمي

☆ ١ ☆

بحيرة

يتراقص على سطحها رذاذ خفيف ،
ويمر عليها النسيم العليل فيداعبها ويتثنى على سطحها الرقراق ،
وتتموج عليها هينات النسيم اللدنة وتترك عليها اذيالها الفضفاضة ،
كان الوقت فجرا وكان ماء البحيرة هادئا ساكنا ،
وكان ماؤها صافيا رائقا تنعكس عليه ابتسامة الفجر الخلابة ،
وتتبلور عليه في صفاء فاتن وعذوبة ساحرة .
كان الوقت فجرا وكأن البحيرة كانت في فجر حياتها ،
وما كاد الليل يقترب حتى انهمر المطر بغزارة صاخبة ،
وتساقط بقوة مريبة يرتطم بسطح البحيرة الهادىء ،
فقلب هدوءها الى اضطراب تندفع فيه ذراتها متلاطمة متدافعة تتمزق فيما بينها ،
وعكر عليها سكونها وكدّر صفاءها .
وهاجت الريح في جنون تائه واجتاحت ذرات الماء ،
وعبثت بها تمزقها شر ممزق .
وأطلّ الفجر ثانية فاذا بالبحيرة كأنها في فجر حياة تعبة ،
على سطحها سكونها وصفاؤها
وفي أعماقها تكمن الريح الهوجاء ثائرة صاخبة ،
ويتفجر فيها اضطراب هائل في هوجه ،
وتبع الليل الفجر واذا بالبحيرة لا تزال في نضارة حياتها ،
ولكنها الآن هائجة في سطحها مائجة ثائرة ،
وهادئة في اعماقها ساكنة ،
لا تبلغ الريح الهائجة قرارتها ولا تتغلغل في داخلها ،
فلا تؤثر الا في ما تعكر من سطحها .

***

ثانت

حياة هذه البحيرة يتقاذفها فجر وليل وليل وفجر
ولا تزال في فجرها وليلها بين مد وجزر ،
طوراً يمر عليها الفجر وكأنه ليل وتارة يمر عليها الليل وكأنه فجر ،
في فجرها هدوؤها وفي ليلها اصطخابها ،
هدوء في سطحها واضطراب في اعماقها ،
وكمون ثورة في اعماقها وتفجر في سطحها .

☆ ٢ ☆

غصن

نضر وفي نضارته ابتسامات ازهاره ،
يتجالى بحلة زاهية فتانة ،
يمر عليه النسيم العليل فيتعطف ويتمايل في لدونة غنجة ،
في ابتسامات ازهاره نجوى ،
وفي نجوى ازهاره ابتهال منسحق واغراء مُتشهّر ،
تبسم ازهاره لتتقبل ندى الفجر ،

وفي الليل تستمتع ببقايا الندي التي لم تقوَ عليها حرارة الشمس
تبسم ازهاره وفي ابتساماتها حلم الفجر وظلال الليل .

***

مرت على الغصن فصول تتلوها فصول ،
وكان لا يخلع حلته في فصل حتى يرتدي ابهى منها في فصل يتلوه ،
ثم مرت عليه فسحة من الزمن بين فجر وليل ،
وكانت هذه البرهة كأنها حياته كاملة تجمعت بين ذلك الفجر وذلك الليل .

***

ظاهر في فجره ، فكان يرفل في ازهاره الفتانة
ويختال في فتونه المبتسم المناجي ،
وأدركه شبح الليل ،
فهبت الاعاصير في قوة طائشة ،
وقصف زئيرها المرعب يدوي في ارجاء الفضاء المتزعزعة ،
واجتاحت مدى الفضاء الرحب صيحات الرياح المعولة .
عصفت الاعاصير وجرفت ازهار الغصن ،
فتطايرت الازهار مقذوفة في اندفاع شرود ،
عصفت الاعاصير وعاثت في نضارة الغصن بنزق اهوج ،
وما أقبل فجر ذلك الليل المرعب
حتى كان الكون في هدوئه جثة هامدة مطروحة خارت قوتها التي أكلت ذاتها بذاتها ،
وكانت ازهار الغصن مشتتة مبعثرة على قنن الجبال الشامخة ،
على كل قنة زهرة ،
وعلى كل زهرة دمعة
وفي كل دمعة من دموع الزهرات ابتسامة كامنة محتجبة ،
وفي كل ابتسامة من ابتسامات الزهرات دمعة حائرة متجمدة .

☆ ٣ ☆

ايام تسير وعمر يتحرك ،
واقدام الزمان مندفعة لا تقف ،
وتعبر الاعوام فتطوي في جوفها اياماً واياما
تنزلق في هاوية سحيقة وتغمرها لجة الماضي المتباعد ،
وكلما هوى يوم تهاوى فيه شعورٌ من قلب وملمس من حس ونظرة من عين وتعزية من امل واكتئاب من يأس .

ويلتفت الزمان قليلًا الى الوراء ،
فاذا بآثار اقدامه على اطلال خاوية وانقاض متراكمة من ايام عاشت على مسرح الوجود ،
واذا بانفاسه تجهش في حشرجة ذكريات وتماوت خيالات ،
وبآثار نظراته تنساب متلمسة سيرها نحو افقها النائي البعيد .
ويحول الزمان نظره الى الامام وفجأة وبطرفة عين يرى :
ان كل ما مضى من ايام وسنين وما تجمع منها في حاضره وما سيأتي منها في غده
يرى ان كل هذا كتلة واحدة لا تتجزأ في مسير الحياة ،
ويميز في عقله حدوداً اقامها ومقاييس حددها وموازين أحكمها
ويشعر في عاطفته بوحدة غير متجزئة في مسيره ،
ومع هذا كله فهو لا يزال يؤمن بأن :
الايام تسير والعمر يتحرك ،
وان اقدامه لا تنتقل الا وتترك آثارها وراءها انقاضاً من الايام تتهاوى على انقاض من الايام ،
وانه يطوي في جوفه ولجته اياماً واعواماً واجيالا .

☆ ٤ ☆

وتتلاقى نظرات عيون بنظرات عيون ،
فاذا بثغور عليها امواج من بسمات ،
وفي بسماتها يتحرك قلبها بما فيه من نوازع وميول واحاسيس ،
وعلى شفاهها تتاوج فتنة من سمرة ويتوقد تلمظ من رغبة وتجمح ثورة من اغراء ،
فتندفع عليها وترتشفها قبلة تجثم في تكالب نهم ،
قبلة عميقة عمق الحياة مفتونة فتنة الجمال جامحة جموح العاطفة .
ثم تتلاقى نظرات العيون بنظرات العيون ،
فاذا بالثغور تنكمش عنها بسماتها في نحول وشحوب ،
وبالبسمات تتكسر على شفاهها طعنات في كل منها خفقة قلب دامية ورعشة ألم يائسة ،
وبنوازع وميول القلب المتحركة في البسمات ابتهال متهاوت في انكساره وانسحاقه ،
واذا بثورة الاغراء طيف ذكرى او لذة ذكريات .
ثم تتلاقى العيون بالعيون ،
فاذا في نظراتها قلبان يتعانقان وأملان يتناجيان .

يافا — توفيق البازجي

صباح الربيع

☆

طلع الصبح ، وصبح الروض وضاح الجبين
والربيـع الغض يدعونا اليه في حنين
قم معي ، نلتمس الراحة تحت الزيزفون
فغذاء الروح في الدنيا انطلاق وسكون

***

طلـع الصبـح ولاحت شمسه في مخدعي
والعصافير على الشرفة ناغت مسمعي
قم معي يستأنس الصفصاف قرب المنبع
والربى تزداد اشراقاً ، اذا كنت معي

***

انا في لبنـان والدنيـا جمال ومراح
وصبـاح الخير ، من ثغرك تغري بالصباح
قم معي ، فالطيب ظمآن على ثغر الاقاح
ونشيد الحب عذب ، في تراجيع الصداح

***

بكّر الشادي الى الاغصان يستوحي السماء
راجيـاً للكون حباً وسلاماً وصفـاء
قم معي نستقبل الشمس صبـاحاً والهواء
مـلء بردينا حياة وشبـاب ورجـاء

***

قم معي ، امـلأ من عطر الروابي رئتيّـا
واعب الماء عبـاً ساذجاً في راحتيـا
لا أبالي في انطـلاقي عتب الناس عليـا ؟
فلقد جن بلبنـان افتتانـاً اصغريا

***

طلع الصبح وضج النور فوق الكائنـات
وتعالت في طريق الحقل اصوات الرعـاة
قم معي ، نملأ محراب الامـاني بالصلاة
فلنا الدنيـا ، جمالاً وربيعاً وحيـاة

صبدا — زهرة الحر

نجوى

مهداة الى الرسام قيصر الجميّل

☆

ايهـا الخالد باللون خلود الانبيـاء
غمّس الريشة بالنور وصوّر مـا تشاء
انت رافائيلنـا الشاعر ، خمر الشعراء !

***

صوّر الارز على العرش كنسر في الفضاء
باسطـاً ريش جناحين له لون الرجـاء !
ملهمـاً يتلو اساطير براهـا القدمـاء !
صوّر الراعيَ يكسو وجهه طل العنـاء !
هانئاً ، حراً ، قنوعاً ، يزرع الدنيا رخاء !
خلفه الاغنـام في افواههـا لون الثغاء !
صوّر الصفصاف في اغصانه لين الحيـاء !
يلثم الارض ويجثو ناسكاً يتلو الدعاء !
راقص الظل كأشلاء سراب في العراء !

***

صوّر الحسن بألوان تغني كالضيـاء !!
مشرقـات ينضح الاغراء منهـا والسناء
مسّهـا الوحي فشفت كغمامـات المساء !
ارسم الثغر جريحاً يتلظى بالدمـاء ! !
وردة حمراء يكسوهـا من الوجد رواء !
لونهـا من شفـق اشعله نور ذكاء !
امنح الاجفان اهداباً رنا منها القضاء
ناعمـات حلوة الرفـات تنهل غنـاء !
صاغهـا « كوبيد » اشفاراً لقتل الأبرياء !
صور العينين زرقاوين من نور السـماء
تتلالا بالنجوم الصفر ، دنيا من صفـاء
ملؤهـا وهج والحان بعيدات النداء !

الشويفات — فؤاد الخشن



بقلم احمد عوبدات

✩

يساورني دائماً انزعاج غريزي من التجمع في الطريق .. وكنت احث خطاي ذلك اليوم لاجتاز مسرعاً هذا الحادث العادي : اصطدام السيارات وبحة « الفرامل » ، وامرأة جريح تئن ، حين استرعى انتباهي متشرد بقامته الفارعة وبحركة الواثق شق الصفوف وابعد الفضوليين وتولى امر هذه المسكينة واسندها في وضع مريح ، ثم طلب منديلاً بصوت جازم ، وضمد الذراع الذي ينزف منه الدم . الى ذلك الشخص الغريب ، اليه وحده ، شخصنا كلنا ، وارتمت المرأة الجريح بين يديه لا تعي حتى وصلت دورية الاسعاف .

انتصب المتشرد وذهب يجر حذاءه الممزق ، فتبعته ، وكنت اراني مدفوعاً الى هذه المخلوقات الغريبة التي نصادفها في مآتي الطرق حيث يخيم حولهم سر او مأساة . الا انه لم يذهب بعيداً فقد دفع باب مقهى شاحب الضوء ودخل معتمداً مرفقيه بتثاقل على الخوان . وبدا له خادم المقهى وكأنه يعرفه فانتهره بصوت متغطرس ، ولكنني تقدمت منه واضفته قدحاً من الشراب ، فقبله ولم ينبس بكلمة شكر على انه قال لي فجأة بعد ما تجرعه :

— رأيتك الساعة بين الجمهور ، واعرف لم تبعتني ، ولم اضفتني الشراب كأن امري يهمك ، انت تتساءل الآن ، لماذا هبطت الى هذا الحضيض ولم اتسكع بهذه الاسمال في الطريق . انت تعرف اني لست متشرداً ، لقد ادركت هذا !

فقلت بصوت متحد :

— كلا ، لقد تساءلت في نفسي كيف ان متشرداً امكنه ان يعطينا درساً هنالك في الطريق . لو كان هنالك طبيب لما استطاع ان يقوم بالمهمة على وجه اكمل .

واسترسل صاحبي في الضحك .

— سأبوح لك اذن ، انا طبيب ، وطبيب ماهر ، وكنت في اوج الشهرة حين تملكني سأم وفتور بليد . كان علي ان اكتب كتاباً في ذلك ، فهذا ما يتطلبه العصر ، وليس فيمن يجدر ان نسميه اخصائياً من لا يكتب ترجمة لحياته ، اعني قصة سنيه الاولى وما يلابسها من عمليات تأتي ضمن ظروف مستعصية ، ومن سعي في جنح الظلام فكأنه مع الرهو على سباق .

واخيراً كل هذه المغامرات التي تعترض الطبيب الناشيء . اما انا فلم يتفق لي ما يستحق التسجيل ، وكان هذا مصدر انزعاجي . قلت :

— طبعاً ، لا ، فانت من اسرة غنية ، ودراسات عالية ..

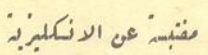
— تماماً ، لم ينقصني شيء ، النجاح والمال ، ومهنة بدون مفاجآت ، وكيف اقوم بتأليف كتاب ، رأيت امره مستحيلا فغدوت كما ترى متشرداً ، انشد المغامرات في الطرقات ، فقد يفاجئ المخاض امرأة وهي تركب التاكسي ، وقد تلد توأماً وهو امتع كحادثة . انني اسعى لهذه المغامرات مهما لابسها من ظروف ، وماذا ينجم عن ذلك ؟ لا شيء ، فالاسعاف قريب مدى ثانية ، فكيف احيا المغامرة في هذه الايام .

وحدجني بنظرة لم تداخلها ابتسامة . وعبأت قدحه من جديد .

— الست مسروراً ؟ قد لا يسليك هذا ، اليس كذلك ؟ قالها في نظر شزر وسخرية . في الواقع ، لا ابالي ، فانا لا اعرفك واستطيع ان اقص عليك حكايتي فقد اكرمتني بالشراب .

وبدأ متمهلا قال :

كان لي صديق ، وهو احد زبائني التالفين ، اصيب بداء السكري ، وكان له امرأة فاتنة اسمها ماري وكنت ايضاً اعالجها ، وقد يبدو قليل الاهمية اذا اعلمتك بعد انني طبيب مشهور في هذه المدينة .



مقتبسة عن الانكليزية

نعم كان صديقاً لي، وكان مصاباً بداء السكري كما قلت لك، وليس لشفائه غير الانسولين الا انه قد يطول به الشفاء سنين عديدة، ولا بد ان اشرح لك: اذا كان في دمك كثير من السكر فيحسن ان تتداوى بالانسولين، ولتعدل مفعول الابر تناول من السكر ما يلزمك، بالطبع على ان يكون المقدار محكماً بدقة. وكان صديقي يحرص على الكمية التي تلزمه لانه يحرص على الحياة.

وبما انني كنت اتعهده بعلمي وفني ولم ادع شيئاً للقدر و للاتفاق فكنت امنع احداً ما يقوم بتضميد جراحه اليومية. وكنا نذهب احياناً الى الصيد لا لنغيب في احضان الطبيعة بل لننسى هذه المدنية على الاقل. كان ريشار رجلا ممتلئاً وقويا وبحاجة دائمة الى كثير من التمارين.

وكنت في كل نزهة، احمل معي الادوات اللازمة من الابر وقوارير الانسولين وكان هو ايضاً يحمل دائماً سكراً، ولماذا السكر؟ فقد شرحت لك فيما اعتقد ان جميع المصابين به يحملون معهم سكراً ليقاوموا به مفعول الانسولين العنيف، ولا سيما حين يقومون بالتمرين. فيكتسح مجهود اعصابهم المقدار الطبيعي في دمهم، وهذا ما يسمى بـ «صدمة الانسولين» وهي اشد خطراً من الداء نفسه، ولكن بشكل معاكس. يصاب المريض بغيبوبة وبعد بضع دقائق ينتهي كل شيء. ان سنين من العناية تمحي بلحظات. فمن اجل ذلك قلت لك ان المرضى يحملون دائماً معهم سكراً.

وكان ريشار يحب دائماً امضاء آخر الاسبوع معي في رحلة قصيرة، فيحس بالطمأنينة لانني طبيبه. واكتشفنا ذلك اليوم اليوم جدولاً تكثر فيه الاسماك، وكنا على الرغم من تياره السريع مزهوين بهذه المغامرة التي قمنا بها بعيداً عن القرية واستولينا بها على تلك البقعة الجميلة. وبينما كنا راجعين، اصطدم الزورق بصخرة اثر دوران الماء فانقلب وكدنا نغرق. وكان طبيعياً ان نذعر، فقد ضاع كل ما نحمله في الماء.

لم يقلق ريشار لانه لم يكن مضى وقت على اخذه ابرة الانسولين وقمنا نسير نحو القرية، ونحن نصطك من البرد الشديد. وبعد مسيرة ساعتين متواليتين اصاب الهزال ريشار واصفر باسرع من البرق وكان الى جانبي وما هي الا لحظة حتى صدمه مفعول الانسولين، وفطن الى ما اصابه فرجاني ان اعطيه سكراً، ولم يكن معي منه شيء اذ ذاك لانني فقدته في اعماق الماء.

الأديب

☆

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي:

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج: ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا: ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج: ١٠ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد أعلى

☆

– المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

– للاعلان يراجع المدير الفني: مختار شملي

○

ادارة الاديب: باب ادريس، شارع الكبوشية

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: البير اديب

☆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

وهكذا ترى ان صديقي كان ممتلىء الجسم قوياً وضخماً . . وقد اضناه المشي السريع بعد ان استنفد جهده . ولم يكن من المستحسن ان يجهد جسمه بعد تعاطيه الابرة . وكان علي كطبيب ان امنعه لا تنس ان لريشار امرأة جميلة وحسناء .

انه الآن منطرح على الارض يعاني وطأة الصدمـــة ولست استطيع اسعافه بشيء ، ولست اقدر على حمله ، ولا استطيع كذلك ان اتركه وحده . وتبدت امامي صورة مـــاري ذات العينين الواسعتين الحالمتين .

تولاني غضب شديد لهذه الذكرى ، وانت تعرف من انواع هذا الغضب الاعمى الذي يدب من اعماق الماضي ويوقظ ما فينـــا من حيوانية . وركمت الى قربه ، وجهاً لوجه ، حراك به ، ولكن في عينيه بصيص من الادراك ، وكأنه ادرك انه لن يتبقى له من الحياة الا دقائق معدودة .

قلت له بصوت عال : انتهيت يا صاحبي ، انت مشرف على الهلاك ، لو تعلم انني انتظر هذه اللحظة منذ خمس سنوات .

ورفت عيناه ، واستعان بجهد المستميت ليرفع نفسه ، فاردفت بصوت جلي متمهل كي لا يفوته من كلماتي شيء .

— اصغ الي ، فقد حسبت واعددت كل شيء ، وكان بامكاني ان اقضي عليك منذ زمن بعيد ، ولكني انتظرت ذلك عمداً ، وليس من يستطيع ان يتهمني بشيء ، فالناس سيقدمون لي عزاءهم بفقد صديق عزيز .

وانحنيت ، واخذت ركبتاي ترتجفان ثم واصلت كلامي :

— تستطيع ان تعرف لمَ قتلتك ؟ فكل اصدقائنا يعرفون ذلك ما عداك انت ايها المغفل المسكين . لقد كنت كثير الثقة في ماري وكنت تعتقد انها لا تحب سواك ، ولكنني عالجتها انا ايضاً ، فكنت طبيبها ، وموضع ثقتها ، الى ان اصبحنا صديقين حميمين ، وساورني حبها ، فتمنيت ان انتزعها منك واحضنها الى الابد . ولكن ماري تخاف الطلاق فاوردتك هذا المصير .

وارتسمت على عيني ريشار علائم الحزن والتعب ، ورأيت وجهه يفارقه الشحوب واعتراه غضب ، وكأن قوة خارقة دفعته فوقف على رجليه ولكن بعد لأي ، والعرق يتفصد من صدغه حبات كبيرة .

— رجوتها اول الامر لتتعرف بي ، فرفضت ، اتذكر ؟ وكنت انت الذي اجبرتها بعدئذ على التعرف بي ، وانك الآن لا تقدر على شيء حتى ولا تستطيع ان ترد علي . . .

واخذ يلهث ، بينما هززت كتفي ورحت اضحك ضحكاً عاليا قويا .

اما ريشار فقد تخضب وجهه بلون الدم . وكأن الغضب احاله الى اتون يغلي مما جعله يحطم الحواجز التي كانت تسمره الى الارض ويهذيان المحموم شد نفسه وتقدم صوبي :

ولكن لا خوف ، انه لا يستطيع اللحاق بي ، فهو مريض لا يقوى على شيء . وليس لي الا ان اركض . .

ان فورة الغضب لها نتائج عجيبة ، وهذا الذي اصاب ريشار فقد كان منذ لحظة مسجى على الارض كالميت ، وكأن ثورة الغضب هذه انشطت غدده الكظرية ، وهذه بدورها حركت السكر في دمه .

وفجأة استرد ريشار قواه وتغلب على الاغماء . فنهض يطاردني .

وهربت وانا تحت كابوس مزعج ، الف وادور وانا اجتاز الدروب الضيقة وكان ريشار دائما اتبع لي من الظل .

كم ركضت من الزمن ؟ لست اعرف لانني ما ازال اركض ، وكنا على الطريق فلوحت بيدي الى سيارة مارة ، وشرحت بايجاز ان حادثاً وقع ويستلزم نقل هذا الرجل بسرعة الى المستشفى للعناية به وهناك استطاعوا ان يعالجوه وان يعافى .

اين هو الآن ؟ لست اعرف من امره شيئاً ، لو التقينا من جديد ، فان ذلك لن يدعو الى شيء ذي بال ، اليس كذلك ؟ اظن انه سيحاول قتلي ، ولكن لا حاجة الى ذلك فقد مت منذ زمان طويل . . . منذ عشر سنوات .

وتوقف صاحبي عن الكلام ، فعلمت ان قصتـــه انتهت ، وتمتمت في سري :

— لا بد انك كنت شجاعاً معه .

ولم تلتفت الي بل امتدت عيناه سادرتين الى بعيد .

— نعم كان علي ان ادفع عنه هذا الاغماء ، وحالة واحدة من الغضب بالغة منتهى العنف كانت قديرة وحدها ان تصنع هذه الاعجوبة . فاخترعت هذه القصة عن ماري وانا اعرف انه يحب زوجته كثيراً وله بها ثقة كبيرة واعرف انه لا يطيق احتمال هذه الفكرة : خداع امرأته له وحبها شخصاً آخر . والهيجـــان الذي استولى عليه عند هذه الفكرة اعاده الى عالم الاحياء . وهذا غاية ما كنت اسعى اليه . والغريب انك قد فهمتني انت ، اما ريشار فلم يصدقني ابداً ، ومع ذلك كان صديقي .

احمد عويدات

تاريخ الصحافة في العراق في العهد العثماني

بقلم مهدي القزاز

☆

كنت قد انتهيت في بحثي السابق عن (تاريخ الصحافة في العراق*) الى اعتبار جريدة (الزوراء) التي صدرت في بغداد في (١٥) حزيران سنة ١٨٦٩ اول صحيفة رسمية صدرت في العراق في عهد الوالي التركي مدحت باشا الملقب (بابي الاحرار) وبها يؤرخ نشأة الصحافة العراقية وتطورها وتكوينها حتى عهدها الحاضر .

كان مدحت باشا قبل ولايته على العراق قد طاف بكثير من المدن الاوربية واطلع على نهضتها ورقيها في الحياة السياسية والادبية والاقتصادية وتتبع عن كثب سير الادارة وما يصلح من القوانين والمشاريع النافعة ، وعلقت بذهنه اشياء من اسباب النهضة الاوربية ، فعندما استلم ولاية العراق اعتبر عهده الذي لم يتجاوز ثلاث سنوات فجراً لنهضة العراق الحديثة وذلك لاهمال الولاة الذين سبقوه كل المشاريع التي من شأنها انهاض الحياة العمرانية والثقافية في العراق علاوة على عرقلتهم الكثير من المشاريع الحيوية التي كان يراد القيام بها من قبل بعض الافراد والشركات مع اشتهارهم بالرشوة والظلم في حين ان مدحت باشا قام في خلال ولايته بمشروعات اصلاحية كثيرة فأنشأ المدارس العسكرية والمدنية واسس المصانع المختلفة وساس البلاد بالحسنى .

ومدحت باشا هو اول من جلب آلة الطباعة الى بغداد فأسس مطبعة سميت (مطبعة الولاية) وكانت تطبع فيها جريدة (الزوراء) وقد جلبها من باريس وجلب معها مطبعة حجرية لغرض طبع ما يحتاج اليه الجيش من كتب ومنشورات واوامر بصورة سرية خشية تسرب الاسرار العسكرية الى الخارج .

صدر اول عدد من جريدة (الزوراء) يوم ٥ ربيع الاول سنة ١٢٨٦ هـ الموافق ١٥ حزيران سنة ١٨٦٩ م بثماني صفحات من الحجم المتوسط وباللغتين العربية والتركية وقد نشر في صدر عددها الاول ان : « هذه الغزته تطبع في الاسبوع مرة يوم الثلاثاء وهي حاوية لكل نوع من الاخبار والحوادث الداخلية والخارجية » وكانت لغتها ركيكة الا انها كانت ذات فائدة عظيمة للعراقيين آنذاك بالرغم من كونها صحيفة رسمية حيث بحثت احوال العراق وشؤونه المختلفة ونشرت الانباء الرسمية والقوانين المختلفة ونصوص المعاهدات والوثائق والاخبار الخارجية .

وكان يحرر القسم العربي فيها ومدير مطبعتها فهمي المدرس ثم الشاعر جميل صدقي الزهاوي وبعده الشاعر معروف الرصافي . وحرر فيها ايضاً شكري الالوسي مؤلف كتاب (بلوغ الارب) و (تاريخ نجد) وغيرهم من كبار الكتاب والاساتذة المبرزين في ذلك العهد . وقد عاشت هذه الجريدة حتى سنة ١٩١٧ .

واقدم صحيفتين رسميتين صدرتا بعد (الزوراء) هما جريدة (الموصل) صدرت في لواء الموصل سنة ١٨٨٥ وجريدة (البصرة) التي صدرت في البصرة سنة ١٨٨٩ وكانتا تصدران اسبوعياً وباللغتين العربية والتركية وانقطعتا عن الصدور مرتين الاولى قبل اعلان الهدنة بايام والثانية عند احتلال الانكليز للبصرة سنة ١٩١٤ .

ولم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ غير هذه الصحف الثلاث جريدة (الزوراء) في بغداد وجريدة (الموصل) في الموصل وجريدة (البصرة) في البصرة تنشرها الحكومة العثمانية للتعبير عن سياستها واهدافها . وعند اعلان الدستور العثماني الذي قضى على السلطان الفردي تنفس الاحرار في العراق واقدموا على اصدار الصحف والمجلات حتى بلغ عددها في سنة واحدة اكثر من خمسين صحيفة تعالج الشؤون الادبية والعلمية وغير ذلك من المواضيع النافعة واصبح العراق القطر الثالث في المملكة العثمانية في اصدار الصحف والمجلات .

وكانت اول صحيفة سياسية انتشرت في بغداد هي جريدة (بغداد) التي اصدرها المرحوم مراد بك شقيق فخامة حكمت

---

* راجع الاديب عدد (نوار) ١٩٤٦ .

سليمان ، ظهر عددها الاول يوم (٦) آب سنة ١٩٠٨ وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية ثلاث مرات في الاسبوع ، ويحرر القسم العربي فيها الشاعر معروف الرصافي . وكانت من اقوى الجرائد العراقية واشدها اندفاعاً في تأييد النهضة الدستورية ، واجرأ صحيفة كانت تحارب الوالي العثماني وتدافع عن القضية العربية، حرر فيها الشاعران الزهاوي والرصافي وفهمي المدرس وكانت ميداناً فسيحاً لاقلام كبار الكتاب والشعراء .

وصدرت بعد جريدة (بغداد) عدة صحف سياسية وادبية ومجلات علمية وادبية واكثرها باللغتين العربية والتركية . واشهر هذه الصحف والمجلات حسب تواريخ صدورها (الرقيب) لصاحبها عبد اللطيف ثنيان وجرائد (الروضة . مصباح الشرق . المصباح الاغر . المصباح) لصاحبها الحاج عبد الحسين الازري الشاعر العراقي المعروف و « صدى بابل » لصاحبها معالي يوسف غنيمة وداود صليوا « والرياض » لصاحبها سليمان الدخيل و« الرصافة » لصاحبها الاستاذ السيد محمد صادق الاعرجي و « النهضة » اصاحبها معالي مزاحم الباجه جي ومجلة « العلم » لصاحبها العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني ومديرها المسؤول الحاج عبد الحسين الازري ومجلة « لغة العرب » لصاحبها العلامة انستاس الكرملي ومجلتا « شمس المعارف والرياحين » لصاحبها المرحوم ابراهيم صالح شكر ومجلة « الحياة » لصاحبيها ابراهيم حلمي العمر وسليمان الدخيل ومجلة « بانك كرد » لصاحبها معالي جمال بابان . وغير ذلك من الصحف والمجلات التي صدرت في العراق وعاشت بعضها عدة ايام وبعضها عدة اشهر والاخرى ناضلت اعواماً حتى الحرب العالمية الاولى وقرب دخول الانكليز العراق حيث توقفت جميع الصحف عن الصدور .

وكان من اشهر الكتاب والصحفيين في العهد العثماني الذين عبروا عن آرائهم وكتبوا ما يجول في خواطرهم وطالبوا بالاصلاح من الولاة العثمانيين هم الاساتذة الحاج عبد الحسين الازري والسيد صادق الاعرجي والشبيبيان ومحمد سعيد الحبوبي والشهرستاني وسليمان الدخيل وابراهيم صالح شكر والرصافي والزهاوي وعبد اللطيف ثنيان ورشيد الصفار ومزاحم الباجه جي وعطا الخطيب والكرملي واحمد عزت الاعظمي وغيرهم من كتاب النثر والشعراء .

وكان قانون المطبوعات العثماني هو القانون المعمول به في العراق والذي ذاق منه اصحاب الصحف العراقية الامرين لان صحفهم السياسية كانت عرضة للتعطيل الاداري بقرار يصدره مجلس الوزراء وفقاً للمادة «٢٣» من القانون المذكور . اما الصحف الادبية فلم يكن هناك قانون يحميها او سلطة شعبية تدافع عنها فكان الموظف المسؤول يسحب امتيازها او يأمر بتوقيف اصدارها متى شاء .

وكانت صحف بغداد والبصرة معارضة لحكومة الاستانة بعدما تنكر الاتحاديون لمبادئهم فكانت هذه الصحف حتى في عنفوان الطغيان الاتحادي تناضل نضالاً شديداً عن حقوق الامة العربية والكيان العربي وقد كلفها وكلف اصحابها هذا النضال تضحيات جسيمة من اعتقال ونفي وتشريد ومحاكمات وسجون . فمنذ سنة ١٩٠٨ حتى سنة ١٩١٤ اقيمت «٤٨» دعوى على الصحف الوطنية واعتدي على اصحابها .

اما الصحافة الرسمية آنذاك فقد اقتصر الجهد الصحفي فيها في هذه الفترة على الدعوة للحكومة القائمة ونشر اخبار الولاية والحرص على تمجيد الوالي واعلاء شأنه ثم اذاعة بعض القطع من الادب العربي القديم من شعر او نثر لا يشوق القارىء الى الاقبال على مطالعته او يثير فيه رغبة النقد والتحليل . وكانت هذه الصحف في اسلوب انشائها تزخر بنوع من السجع الذي يزدحم بالفواصل ويشغل بالجناس ويثقل على السمع .

ولم تزدهر الصحافة العراقية او تتقدم في اساليب تحريرها في ذلك الزمن بسبب قلة القراء وشيوع الامية وعدم وجود المطابع الكافية لطبع الصحف . وكانت الثقافة التركية هي السائدة بين المتعلمين الذين كانوا يقبلون على صحف الاستانة لما فيها من مادة غزيرة وانباء خارجية واخبار الولايات . كما ان صحف مصر وسورية ولبنان اخذت ترد القطر العراقي باستمرار مما اصبح لها سوق رائجة في العراق لانها كانت اكبر حجماً واغزر مادة واحسن اسلوباً من الصحف العراقية الناشئة التي كانت محدودة في حجمها ومادتها وبسبب ما كانت تعانيه من قسوة قانون المطبوعات وغطرسة الولاة الذين كانوا لا يتورعون عن التنكيل بكل صحيفة وصحافي لا يجاري الوضع القائم او يجهر بالمطالبة بالحرية والاصلاح .

ولم تكن في العراق في العهد العثماني اكثر من اربع مطابع تطبع فيها الصحف والكتب والمجلات والنشرات وكانت من الطراز القديم لذلك لم تكن الصحف تصدر بانتظام وباوقات معلومة ما عدا عدة جرائد ومجلات حافظت على مواعيد صدورها .

وبقي الوضع الصحفي في العراق في العهد العثماني كما لخصناه آنفاً منذ صدور « الزوراء » حتى اعلان الهدنة ودخول الانكليز العراق ، فتوقفت جميع الصحف عن الصدور لتستقبل هذا الطارىء الجديد في حياة البلاد بما يتطلبه من جهاد ونضال . . .

بغداد — مهدي القزاز

الحور المتمرد

شاعر الهند طاغور

ترجمة بهجت حكيم

☆

. . . شجرة الحور اليابسة تتأمل بحزن خيالها الممتد على الارض .

لا ، انك عديمة المنفعة لا تعطين ثمراً ، تمردت على امك الارض لانها انبتتك هنا فيبست ، والمسافر المسكين الهبته الشمس ولم تظللي رأسه فانا منطلق عنك الى الجنات ، هكذا عيرّها الشحرور عندما دعته للترنم على اغصانها . ومنذ تلك اللحظة والحورة تستغفر الطبيعة واصولها العميقة تهمس في اذن الارض .

« يا امي يا امي منذ اجيال فصلتني عن قطيع الحور النامي على مشارف الغابة وانبتني في هذه البقعة القاحلة »

لقد سئمت رؤية هذه الامكنة وعطشت اصولي

« ان اجيالي الكثيرة ثقلت عليّ فهرمت واشتقت يوم اتداعى واسقط على صدرك يا امي فارتاح وتمتزج عناصري بترابك وتتجدد لتعيديني الى الحياة من جديد فأقف في وجه النواميس خضراء جبارة واتصدى للعاصفة المجتاحة جميع اغراس الوادي .

انبتيني على منابع الجداول فاورق واهب افيائي لابنائك من العابرين . . . أي خير يرجى من حورة يابسة فحوليني جفنة تعطي عنبها او أغنية خالدة في ازوار العصافير . . . من هذه البقعة القاحلة تناديك ذاتي يا امي الخفية الهائلة اسامعة انت ؟!! . . . ترجرجت دقائق الازمنة المحيطة بشجرة الحور ، واخترقت توسلاتها طبقات الارض القصية فتحركت شفاه الطبيعة وهمست بعيداً في الاعماق . . .

تناهى اليّ تذمر ابنتي شجرة الحور النامية قريباً من الكروم فما بها اتشكو الملل ؟! ايتها الابنة الجاهلة رسالتها . الشاكية لانفرادها الانك يابسة تتذمرين ؟ . . ولكن تلك هي ارادتي الخفية فان القوى المسيرة الكون انتدبتك لرسالة ارفع من رسالة الشجر .

شجرة الحور باقية لتفيء . . والجفنة لتثمر اما انت ففي يبوستك سر وجودك . . ان اجيالك الكثيرة ما هي الا لحظات قصيرة من يومي وحلم هجمة لم تأت نهايته بعد ريثما يتم الناموس الذي من اجله ولدت فها انني مرسلة اليك من يظهر رسالتك للعالم .

☆

وكانت السكينة ابنة الليل قد انحدرت لتتكيء على الارض فانقطع الهمس وارتاحت الطبيعة واتكأت الحورة على ذاتها . اذ ذاك ولد نغم خافت من ابعد اصولها . وسمعت اعماقها تهلل في بطن الارض وشعرت انها حبلى بالانغام منذ اجيال كثيرة .

حمل النجار فأسه وانطلق الى الغابات . . فالفتاة التي احبها قلبه طلبت قيثارة من صنع يديه . . وها هو منذ الفجر يفتش عن الشجرة السعيدة التي ستصبح قيثارة . . جميع الاغراس التي مر بها خضراء زاهية وهو يريدها يابسة تتجاوب فيها الاصداء وتركن اليها الاخيلة . وعن بعد لمح شجرة الحور اليابسة واغصانها العارية مرتفعة الى العلاء تطلب الرحمة فتهلل قلبه وابتهجت اعماق روحه . .

وبفضل جهوده استحالت الحورة قيثارة خمرية اللون ذهبية الاوتار .

فرحت بها الحبيبة فقبلتها مئة قبلة ولمستها صبايا الحي باصابعهن العاجية الناعمة وانطلقن الى الغابات يرقصن على انغامها .

قيثارة فياضة الالحان رجراجة النبرات ترامت الى مسامع الشحرور فاقبل من وكره البعيد مأخوذا بسحرها وهو يقول : امن بنات الغاب تلك المغنية ام من حوريات السماء ؟؟ وما ان ارتسم سواد جناحيه على لمعان الافق حتى عرفته القيثارة فنادته . اما هو فعجب لذلك قالت : تأمل جيدا اما عرفتني ؟!

فحط على صخرة قريبة مفكرا لان هذا الصوت كان له رجع بعيد في مسمعيه ، وفجأة انفتحت امامه ابواب الذكرى المغلقة واتصلت الى اعماقه معرفة الذات الخفية والجوهر الذي لا يتغير بتغيير الظواهر فهتف : الحورة اليابسة . . .

قالت : اجل شجرة الحور التي عيرتها بالامس وكيف تحولت ؟!!

لكل رسالته ايها الطائر فانت ولدت لتترنم والوردة لتزهر . اما انا فلاتحول قيثارة ، تمر في جوفها مواكب التأملات والخيالات المولودة في اودية الصمت الصائرة الى ضمائر الناس . لاتكلم على الارض لغة العرائس والالهات ، وعندما كنت في هذه الغابة عيرني سكانها دون ان يعرف احد ما هي رسالتي والغاية التي من اجلها انبثقت من ظلمة الارض . .

حينئذ قال الشحرور : ايتها الاخت الرائعة بانغامها الساحرة بعذوبة رنينها منذ ان مزقت نبرات صوتك اغشية الصمت وترامت الى وكري صغرت في عين نفسي وعرفت انه انقضت ايامي من مملكة الغاب فها قد اقبلت من لا استحق ان ارفع صوتي بالترنيم امامها ، يا شجرة الامس ويا قيثاة اليوم دعيني اقترب وامر جناحي على اوتارك الذهبية فاتعلم غناءك

قالت شجرة الحور : لقد دعوتك لتسلي وحدتي امس فلم تأت ، لذلك لن ادعوك اليوم وانا في كمال فرحي . . وانت ساعة عيرتني حكمت على ذاتك دون ان تعلم . . عند ذلك حزن الشحرور ولم يجسر حتى ان ينظر اليها ، ومضى يستتر بين الصخور ولا يطير ، لانه خجل جدا وكان يهامس الازهار ، التي بدأت تغفو على صدور الاعشاب « استفيقي استفيقي يا مصابيح الفجر وانظري . . ارفعي اعناقك يا ارائك الليل ولا يأخذك النوم ، فها قد عادت شجرة الحور اليابسة ورآها الغاب في كمال مجدها . .

اخي صاحب الاديب :

. . . هذه قطعة مترجمة عن الهندية لصديقي شاعر الهند ربندرنات طاغور عنوانها « الحور المتمرد » وهي احدى التحف الفها في اواخر ايامه واثناء اقامتي في الهند وانا جاد الان بنقلها الى العربية وجمعها في كتاب سادعوه « من وحي الهند » راجياً من وراء ذلك تعريف النشء العربي بهذا الرجل الكبير الذي طبقت شهرته الآفاق .

طرابلس بهجت حكيم

الادب المهجري ادب رسالة

رسالته الى الحياة

بقلم عيسى ابرهيم الناعوري

☆

الادب المهجري* هو أدب رسالة ، وهل الادب الصحيح سوى رسالة سامية ، تنير سبل الحياة ، وتعرّف الناس كيف يهتدون الى منبع السعادة والمعرفة فيها ، وكيف ينهلون من ذلك المنبع الأزليّ الابديّ الذي لا يحدّه الزمان ولا المكان ، لأنّه أصل المكان والزمان ، وأصل الحياة والوجود ، بكل ما فيها من شمول وابدية ؟

وادباء المهجر هم ادباء رسالة ، وهل الأديب الحقّ سوى رسول يحمل بيديه مشعل الحب والحريّة ، ويبحث بكل ما في ضميره من شوق وشغف ، وما في نفسه من نشاط واخلاص ، عن مصدر السعادة والمعرفة في الحياة ، ليهدي اليها نفوس البشر الحائرة ، فيزيل بذلك عن وجه الحياة قشور الكآبة والجفاف ، ويكلله بنور الغبطة والانتعاش ؟ .

واذا لم يكن الأديب ذلك الرسول المنتظر لتخفيف آلام البشرية ، فمن ترى يكونه ؟ واذا لم يكن الادب تلك الرسالة المرجوّة لتحقيق آمال البشرية ، فما ترى يكونها ؟

ان الادب العربي في حياته الطويلة الماضية لم يكن يعرف معنى « الرسالة الادبية » ، فقد كانت المقاييس الكبرى للأدب هي أن يكون تعبيراً عن عاطفة مهما يكن نوعها ، او تصويراً للنفس او للمجتمع ، في صدور ضيقة او واسعة . لذلك كنا دائماً نعتبر الشعر والنثر هما الجناحين الذين يتألف منهما «الادب» ، ونحن طبعاً نعتبر كلّ كلام منظوم « شعراً » وكل كلام غير ذي وزن وقافية « نثراً » ، مهما تكن صفات هذا النثر وذاك الشعر . وعلى هذا القياس تكون خمريات الأخطل وأبي نواس ، وغراميات امرئ القيس وابن ابي ربيعة — على تهتكها وبذاءتها — ، ومدائح المتنبي والبحتري ، واهاجي جرير والحطيئة ، ومقامات الحريري واليازجي ، أدباً ، وادباً في الصميم ، تماماً كتأملات المعرّي وجبران ونعيمه وابي ماضي تلك التأملات الانسانية التي تنزل على القلوب برداً وسلاماً ، وترفع النفوس معها ، بعد ان تجرّدها من اوضار الطين ، وعبودية المادة ، وتحلق بها في عوالم يغمرها النور ، وتتألق في حواشيها ابتسامات التعزية والسعادة .

هكذا كانت احكامنا الادبية السابقة ؛ وما تزال — مع الأسف — احكام الكثيرين منا الى اليوم ؟ وهكذا كنا نفهم الادب . اما نحن ابناء الجيل الحاضر فاننا ننظر الى الادب نظرة فيها علوّ وعمق وسعة ، وفيها تقديس ومهابة ، فليس المدح عندنا أدباً ، لانه استجداء صريح ، او وسيلة الى الاستجداء في الغالب والاستجداء عندنا ذل ورذيلة ، وليس الهجاء عندنا ادباً لأنه نقمة وشماتة وبغضاء ، والبغضاء عندنا رذيلة كبرى ، وليس التبذّل في الحب والشراب عندنا ادباً ، لأنه دعوة صارخة الى سيادة الرذيلة ، وليس الفخر والحماسة عندنا أدباً ، لأنهما غرور وكبرياء ، والغرور والكبرياء عندنا من امهات الرذائل ، لا سيما وهما يصدران عن ابن الطين ، ومتى كان للطين ان يغتر ويتكبر ؟ !

وهكذا نحن اليوم نفهم ان الادب رسالة تعلم الحياة ، وترشد البشر ، وان قيمة الادب هي في ما يسديه الى الحياة والى الناس من خير ، او فيما يمكن ان ينتجه في الحياة من خير للاحياء ، فالاديب — كما يقول نعمه قازان — هو « كل من يدلني على الطريق ، ويسير امامي » . وعلى هذا الاساس نستطيع ان نقول ان الادب المهجري هو أدب رسالة ، وان ادباء المهجر هم ادباء

* اذيع ملخص هذه الدراسات في ثلاثة احاديث من محطة القدس .

رسالة ، او رسل ادباء . ورسالة المهجر الادبية ذات ثلاثة فروع ، فهي اولاً : رسالة الى الحياة عامة ، وهي ثانياً : رسالة الى اللغة العربية ، وهي ثالثاً : رسالة الى الشرق العربي . وفي هذه الالمامة الحاضرة ، سنرى الشق الاول من هذه الرسالة ، على ان نعود الى الشقين الآخرين فيما بعد .

ولئن كنت اقول : ادب المهجر ، وادباء المهجر ، فانني أشعر بأن في قولي هذا اطلاقاً ، وأن في الاطلاق ، غالباً ، شيئاً من المغالاة ، لذلك لا بد لي من التخصيص ، فلم يكن كل ما عرفنا من ادب المهجر ادب رسالة ، ولا كل من عرفنا من ادباء المهجر ادباء رسالة ، وانما الذين يتميزون بهذه الصفة ، وتتسم بها آدابهم هم فئة كريمة من ادباء المهجر ، وعلى الأخص من اصحاب الرابطة القلمية ، تلك الرابطة المباركة التي اجترحت العجائب في النهوض بمستوى الادب العربي الحديث . واصحاب هذه الفئة المباركة يتفاوتون في فهمهم لرسالة الادب ، وينهجون في تأديتها سبلاً تتباين أحياناً ، ولكنها تظل مع ذلك متقاربة كل التقارب ، لانها تصدر عن احساس واحد للحياة الشاملة الواحدة .

فجبران ونعيمه وابو ماضي ونسيب عريضه مثلاً ، اتخذوا من الادب « رسالة انسانية » مثالية ، تتعالى على سائر الفروق والنزعات الاقليمية والطائفية والقومية والدينية ، بينما اتخذ الريحاني والقروي من الادب « رسالة قومية » ، بأنبل ما في القومية والوطنية من معان وأسماها ، كما سنرى ذلك بوضوح في حديثنا على رسالة الادب المهجري الى الشرق العربي . ولم تخلُ آدابهما من الافكار الانسانية العالية ، لان رسالتها القومية لم تكن من الضيق بحيث تنسيها ان الوطن انما هو جزء من الوجود الشامل ، وان سعادته انما تقوم بسعادة سائر الاجزاء الاخرى . وهذه « قومية مثالية » ، لا تقل نبلاً وسمواً عن « الانسانية المثالية » ، فهي جدول رقراق صاف ينبع منها ويؤدي اليها .

وهذا المعنى قد عبر عنه الريحاني بقوله : « لا تنسوا وطنكم في حبكم الانساني ، ولا تنسوا الانسانية في نزعتكم الوطنية » وعبر عنه كذلك الشاعر القروي في ديوانه الاعاصير بقوله يخاطب فتاة انكليزية اسمها « مود » احبته فلم يبادلها الحب ، غيرة منه على قوميته ، وحفاظاً على كرامته :

لعمرك يا « مود » لولا ذووك ... لما فرّق الحب بين العباد
ولا أكرهوا شاعراً ان يقول ... هذي البلاد وتلك البلاد

ولكن الريحاني لم تكن كل رسالته الادبية قومية فحسب ، وانما كانت له آراء عظيمة القيمة في التوجيه الاجتماعي ، او في رسالة الحياة العامة ، ولعل القطعة التالية من ريحانياته تعطي فكرة عن بعض توجيهاته الاجتماعية ، وترينا ان الرجل كان عملياً واقعياً ، يؤمن بالأشياء المحسوسة لا بالمثالية الروحية والعاطفية وحدها . ولا غرابة ، فهو القائل : « انا الشرق ، عندي فلسفات وعندي اديان ، فمن يبيعني بها طيارات » . اما القطعة التي نشير اليها ، فهي من الجزء السادس من الريحانيات الذي لم يطبع بعد ، وهي منشورة في كتاب « امين الريحاني » للاستاذ البرت الريحاني ، وفيها يقول امين الريحاني تحت عنوان : « المندوب الأسمى » :

« ان كنت مكتئباً ، فلا تكن يائساً ، وان كنت يائساً فلا تكن جامداً ، وان تكن جامداً ، فاذكر انك خلقت للخلود ، فهل تريد ان تخلد كالجلمود ؟ ان المذلة لفي الحياة الجامدة ، لا في الموت ، وان الموت على رأس الجبل لنور يضيء ، فان مت في الغور ذليلا ، عشت خالداً في المذلة ، وان عشت حراً كريماً ومت حراً كريماً ، كانت الحرية ركناً ، والكرامة نوراً لخلودك .

اني عدو اليأس ، ومعين اليائسين ، جئت ابعث فيك المرح والحبور ، والهمة والنشاط ، والأمل والايمان ، وحب المغامرة والمغالبة . جئت اقول لك ان الصحة والمال والبنين لأشياء تذكر اذا ما ذكر الجمال وحسن الحال ، ولكن اجمل منها الشجاعة وعزة النفس ، واجمل منها الحرية والمثل الاعلى في الحياة . اجل ان الورد في وجنتيك لخير من الذهب بين يديك ، ولكن الكرامة والاباء والجسارة هي خير من الصحة والمال ، بل اقول لك ان غضبة لكرامة لخير من اليسر والسلامة ، وان جنوناً في سبيل الحق والحرية ، لخير من الرصانة والعبودية ، وان عزاً في الممات لخير من حياة شاكية باكية ، تتوسد اليأس ، وتتلحف الخنوع ... »

واما جبران الذي كانت تتسم كتاباته بالروح الانسانية المثالية فاننا نجد معاني هذه الانسانية في كل كتاباته تقريباً ، ومنها قطعة بعنوان « وعظتني نفسي » ، يقول فيها : « وعظتني نفسي فعلمتني واثبتت لي انني لست بارفع من الصعاليك ولا ادنى من الجبابرة ، وقبل ان تعظني نفسي كنت احسب الناس رجلين : رجلاً ضعيفاً ارق له او ازدري به ، ورجلاً قوياً اتبعه او اتمرد عليه . اما الآن فقد علمت انني كونت فرداً مما كون البشر منه جماعة ، فعناصري عناصرهم ، وطويتي طويتهم ، ومنازعي منازعهم ، ومحجتي محجتهم ، فان اذنبوا فأنا المذنب ، وان احسنوا عملاً فاخورت بعملهم ، وان نهضوا نهضت واياهم ، وان تقاعدوا تقاعدت معهم » .

وكذلك نجدها في القطعة التالية، بعنوان «صوت الشاعر» وهي نفحة انسانية سامية، من النفحات التي تهب من القلوب الكبيرة، لتوسع آفاق عاطفتنا، وتبسط حدود ادبنا، فتربطنا بالانسانية كلها . ففيها يقول نابغتنا الخالد جبران : «احن الى بلادي لجمالها، واحب سكان بلادي لتعاستهم، ولكن اذا ما هب قومي مدفوعين بما يدعونه وطنية، وزحفوا على وطن قريبي وسلبوا امواله، وقتلوا رجاله، ويتّموا اطفاله، ورملوا نساءه، وسقوا ارضه دماء بنيه، واشبعوا ضواريه لحوم فتيانه، كرهت اذ ذاك بلادي وسكن بلادي .

اتشبب بذكر مسقط رأسي، واشتاق الى بيت ربيت فيه، ولكن اذا مر عابر طريق وطلب مأوى في ذلك البيت، وقوتاً من سكانه، ومنع مطروداً، استبدلت تشببي بالرثاء، وشوقي بالسلو، وقلت بذاتي : ان البيت الذي يضن بالخبز على محتاجه وبالفراش على طالبه، لهو احق البيوت بالخراب .

احبُّ مسقط رأسي ببعض محبتي لبلادي، واحب بلادي بقسم من محبتي للأرض وطني، واحب الارض بكليتي، لانها مرتع الانسانية روح الالوهية على الارض».

وليس من السهل — في الواقع — ان نتخذ من القطعة القصيرة والقطعتين دليلاً على المجموعة الكبيرة من المؤلفات التي تشترك في الخصائص الاصلية الكبرى للرسالة الأدبية الواسعة . فالذي يقرأ مؤلفات جبران كلها — اقول كلها ولا استثني، على الرغم من ان مفهوم الرسالة الادبية وطريقة تأديتها يتنوعان احياناً فيها، او هما على الاصح يتطوران وينتقلان مع الزمن — يجد انها جميعاً تستهدف تأدية رسالة الاديب الى الحياة والى الاحياء، على الوجه الاكمل كما يراه الاديب نفسه .

وفي هذه الصفة عينها يشترك معه ميخائيل نعيمه في سائر مؤلفاته ايضاً . ومن اقواله التي تدل على عمق في شعوره الانساني قوله في كتابه «المراحل» تحت عنوان «المزابل» : «يمرّ الناس بقصر من القصور فيهتفون : ما اجمل، وما ابهى! يحيطون صاحب القصر بالاجلال، فيطأطئون امامه الرؤس، ويعفرون الوجوه، ويحنون الركب، اما الايدي التي اقتلعت الصخر من صدر الارض ونحتته حجارة . . . الايدي التي تبني فيسكن غيرها ما تبنيه وتنسج فيلبس غيرها ما تنسجه، وتزرع وتحصد فيأكل غيرها ما تحصده . . . تلك الايدي — وما اكثرهـا! — مزابل بشرية يشمخ عليها الذين يحيون بكدها وجناها، ويكفون عنها الابصار وهم احوج اليها من سمكة الى الماء . فيا للغرور، ويا للعمى! . . ما اكثر المزابل البشرية، وما احقرها في نظر البشر، وما اقدسها واجلها في عين الحياة! . . . الناس يهربون من مزابلهم، ومزابلهم عماد الحياة فيهم . . . فما اعماهم! يكرمون النبتة ويذلون التربة!»

وكما تتنوع طرق الحياة ووسائلها واهدفها، كذلك لا بد من ان تتنوع رسالة الادب اليها .

وكذلك تنوعت رسالة الادب المهجري الى الحياة العامة، فكان من ابرز مزايا ابي ماضي الادبية انه صرف قسماً كبيراً من ادبه الى تحبيب الحياة الى الاحياء، والدعوة الى التمتع بما في الحياة من مباهج، لان الحياة لا تستحق منا ان نستقبلها بالكآبة والعبوس، وهي اقصر من ان ننفقها في التجهم والهم .

قلت :

ابتسم ما دام بينك والردى   شبر، فانك بعد لن تتبسما .

وقد ترددت هـذه الدعوة في عدد كبير من قصـائد ابي ماضي، بصور مختلفة في شكلها، متفقة في معناها، ففي قصيدة «المساء» نسمعه يقول :

فاصغي الى همس الجداول جاريات في السفوح
واستنشقي الازهار في الجنات ما دامت تفوح
وتمتعي بالشهب في الافلاك مـا دامت تلوح
من قبل ان يأتي زمان كالضباب او الدخان
لا تبصرين به الغدير، ولا يلذ لك الخرير

● لتكن حياتك كلهـا املاً جميلا طيبـا
ولتملأ الاحلام نفسك في الكهولة والصبى
مثل الكواكب في السماء وكالازاهر في الربى
ليكن بأمر الحب قلبك عالمـاً في ذاته
ازهاره لا تذبل، ونجومه لا تـأفل

● مات النهار ابن الصباح، فلا تقولي . كيف مات؟

ان التأمل في الحيـاة يزيد آلام الحيـاة
فدعى الكآبة والاسى واسترجعي مرح الفتاة
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبها ، ليكن كذلك في المسا

وفي قصيدته : « فلسفة الحياة » نسمعه يردد هذه المعـاني بصور اخرى ، فيقول :

كن مع الفجر نسمة توسع الازهار شمّاً وتارة تقبيلا
لا سموماً مع السواقي اللواتي تملأ الارض في الظلام عويلا

وايضاً :

كن هزاراً في عشه يتغنى ومع الكبل لا يبالي الكبولا
لا غراباً يطارد الدود في الارض ويوماً في الليل يبكي الطلولا

وايضاً :

فتمتع بالصبح ما دمت فيه لا تخف ان يزول حتى يزولا

ونجد رسالته الانسانية السامية ملخصة في قصيدته « أنا » التي فيها يشرح لنا دستوره الاخلاقي ، ليدلنا على طريق السعادة الحقة ، فيقول :

حرٌّ ومذهب كل حر مذهبي ما كنتُ بالغاوي ولا المتعصب
اني لاغضب للكريم ينوشه من دونه ، والوم من لم يغضب
واحب كل مهذّب ولو انه خصمي ، وارحم كل غير مهذب
يأبى فؤادي أن يميل الى الاذى حب الاذية من طباع العقرب
لي أن اردّ مساءةً بمساءةٍ لو انني أرضى ببرق خلّب
حسبُ المسيء شعوره ومقاله في سره : يا ليتني لم اذنب
اني اذا نزل البلاء بصاحبي دافعت عنه بناجذي وبمخلبي
وشددت ساعده الضعيف بساعدي وسترت منكبه العري بمنكبي
وأرى مساوئه كأني لا ارى وارى محاسنه وان لم تكتب
وألوم نفسي قبله ان اخطأت واذا أساء اليّ لم اتعتب
انا من ضميري ساكنٌ في معقلٍ انا من خلالي سائر في موكب
فاذا رآني ذو الغباوة دونه فكما يرى في الماء ظل الكوكب

اما نسيب عريضة فنجده يعلمنا في قصيدته «يا أخي، يا اخي» الثقة بالنفس ، والفرح بالحياة والتعاون ، فيهتف بنا باخلاص وحرارة قائلا :

« فلنسر في الظلام في القفر في الوحشة في الويل في طريـق المجاهد »
« فلنسر اعزلين الا من الحق سلاحـاً ، والفكر حـاد وقائد »
« واذا اشتدت الذئـاب عواء فلنقابل عواءهـا بالنشائـد »
« واذا احلولك الظلام أضأنا مشعل القلب مثل نور المواقد »
« يا اخي ، يا رفيق عزمي وضعفي سر نكابد ! ان الشجاع المكابد »
« فاذا مـا عييت تسند ضعفي وأنا بعد ذا لضعفك ساند »
« سر تقدم لكي نخط طريقاً لأباة الهوان عند الشدائد »

وتتجلى لنا نزعته الانسانية ، التي تفيض عن نفس كبيرة ، تعلم الحب والاخاء والصدق ، في قصيدته «أدن مني» ، التي يصور فيها الاخوّة الانسانية تصويراً مؤثراً ، فيقول :

ان هذي الحياة اقصر من ان تشغل المرء برهة بعلالـة
فعلام الزحام والركض والحقد ؟ علام الخصام ؟ فيمَ الجهالة
فلنسر صاحبين في مهمـه العيش فنطوي وهاده وتلالـه
يا ابن ودي! يا صاحبي! ياصديقي ليس حبي تطفلًا وثقالة
فأجبني « بيا أخي » يا صديقي وأعد ، انهـا ألذ مقالـة
واذا شئت ان تسير وحيداً واذا ما اعترتك مني ملالـة
فامضِ . . لكنما ستسمع صوتي صارخاً : «يا اخي!» ، يؤدي الرسالة
وسيأتيك اين كنت صدى حبي فتدري جمالـه وجلالـه

وقريب من هذه الروح الانسانية الصادقة الحارة ، ما نجده في قصيدة « سر معي » لندره حداد التي جعلها مطلعاً لديوانه « أوراق الخريف » ، وفيها يقول :

يا أخي الساعي لنيل المجد خفف عنك جمحك
انت لا ترضي سوى نفسك ان أحرزت فتحك
سر معي في الارض تنسَ المال والجاه وطمحك
انا راض بالعصا يا أيها الحـامل رمحك
وسأرضى خبزك الاسود في الحب وملحك
وسأنسى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك
وأرى ليلك ليلي ، وأرى صبحي صبحك
واذا أخطأت نحوي ، فأنا الطالب صفحك

وهذه القطعة تذكرنا بقصيدة « يا رفيقي » لايليا ابو ماضي ، التي جعلها فاتحة لديوانه « الجداول » ، والتي يقول فيها :

يا رفيقي ! انا لولا أنت ما وقعتُ لحنا
كنت في سرّي لما كنت وحدي أتغنى
ربما كنت غنياً ، غير أني بك أغنى
يا رفيقي ! أنت ان راعيت فجري صار أسنى
واذا طفت بكرمي زدته خصباً وأمنا

وهكذا نرى ان نفس الحديث يطول بنا ويمتد ، كلما اردنا المضي في تقديم الادلة على ان الادب المهجري قد كان ادب رسالة سامية الى الحياة ، يؤديها ادباء المهجر النوابغ باخلاص وايمان وصدق .

وبعد فهذا هو الشق الاول من رسـالة الادب المهجري : رسالته الى الحياة العامة ، التي تستهدف خلق حياة مثلى ، يسودها الرجاء والحرية والسعادة ، وسنرى فيما يلي كيف ادّى المهجريون رسالة الادب الى اللغة العربية .

كلية ترا سانتا ـ القدس عيسى ابرهيم الناعوري



١ ـ قصة خطيبين

للاستاذ شعبان فهمي المحامي – ١٢٨ صفحة – جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية

مجموعة اقاصيص للاستاذ شعبان فهمي المحامي يجول في ثناياها النفَس القصصي والقدرة التحليلية ، ولكنها بالاجمال من القصص المتوسط . فهي تعوزها قوة الحادثة قبل كل شيء ، لان الحادثة في هذه الاقاصيص ليست مشوّقة وليست فيها الروعة التي تأسر النفس والمشاعر . ولعلّ هذا الضعف يتجلى اكثر مـا يتجلى في « قصة خطيبين » و « كوميديا لا بد منها » . فالاولى عبارة عن رسائل يتبادلها خاتم الخطيب مع دبلة العروس يعبران فيها عما يشعر به كل منهما في يد صاحبه ، وكل ما هناك ان الخطيب والعروس يختلفان مراراً ثم يصطلحان ، ولا شيء غير هذا . وعلى الرغم من ان المؤلف كان يجهد بان يكسب حديث بطلي هذه القصة معنى ومغزى ، فان القصة تبدو باهتة ضعيفة مملة ، وهي معدومة الخاتمة والعقدة . واما « كوميديا لا بد منها » فشبيهة الاولى في ضعف الحادثة الى تبذل الفكرة . وخير من هـاتين ، قصته « البسمة الاولى » ، ففيها تحليل صادق لنفسية والد كان يتمنى لابنه فتاة بعينها ، ما لبث ان خطبها له . ولكن القدر شاء ان يفجع الاب بابنه بعيد ان جاز الامتحان المنتظر ، فتحطم الاب وطارت نفسه شعاعاً . وما فتىء ان سمع حديثاً عجباً عن الفتاة المتبذلة الكثيرة العشاق ، فاذا هو يبتسم بسمة العزاء .. وعلى الرغم من هذه النهاية الغريبة بعض الشيء ، اذ ان مصاب اب بولده اشد واقوى من ان يتيح له ان يتعزى لأمر كان يمكن ان يقع لهذا الابن ، فان القصة لا بأس بها . ولعل اجمل قصة في هذه المجموعة قصة « في خدمتكم » التي تروي قصة شاب يعشق امرأة كان يراها من نافذته فتبسم له ، وحين علم انها متزوجة لم يغير ذلك من موقفه شيئاً ، بل شجعه على المضي ، وعلى وصف الزوج بأنه « مغفّل » واراد الشاب ان يقدم للمرأة هدية ، فقصد بائع عطور وراح يحدثه عن فاتنته باستغراق حالم . ولكنه كان حائراً كيف يرسل الهدية الى بيتها ، فعرض عليه بائع العطور ان يرسلها في غيبة زوجها ، فوافق على ذلك ، واعطى البائع عنوانها واسمها .. وهنا يطالع المؤلف القارىء بمفاجأة جميلة ، اذ يقول البائع للعاشق :

— ايضيرك في شيء لو سلم المغفل الهدية لزوجه؟ سوف اتكفل بذلك يا سيدي بنفسي ..

وهكذا يكون البائع هو زوج فاتنة صاحبنا ... وقد كنت افضل ان ينهي المؤلف قصته هنا فتكون خاتمة رائعة تترك القارىء يفكر ويلتذ بوقع المفاجأة .. ولا شك في انه اضعفهـا حين ختمها بهذه العبارة :

« تسمر الفتى في مكانه قليلاً ، وما لبث ان اسرع الخطى تاركـاً المتجر ... وقد اكتفى من العاصفة باكفهرار الجو المنذر بها ... »

ونلاحظ في قصة « عم كيوبيد » التي تمتاز بالسير والسهولة ودوح المرح ان الخاتمة مصطنعة ومتكلفة . وميزة « عجل الباشا » قوة التحليل النفسي ، وان كانت الحادثة غير جذابة .

وهكذا يخرج القارىء بملاحظة عـامة على قصص الاستاذ شعبان فهمي ، هي ان قصته لا تردع ولا تأسر بحادثتها ، وخاتمتها غالباً ما تكون ضعيفة ، فضلاً عن انها لا تنطوي الا على فكاهة او مغزى فكاهي .

على ان المؤلف اكثر توفيقاً في المسرحية منه في القصة القصيرة لانه يملك زمام الحوار ويصرفه بنجاح . وهذا ما يبدو جلياً في مسرحية « عايدة » التي ينتهي بها الكتاب ، وان كنا لا نوافق على سرد هذا الحوار باللغة العامية . وهنا ايضاً تتجلى روح المؤلف الفكاهية ، وهو لا شك مصيب حظاً اوفر من النجاح لو انصرف الى المسرحية بصورة عامة ، والمسرحية الفكاهية بصورة خاصة .

واما اسلوب المؤلف فسهل مسترسل هين تتقبله النفس بقبول حسن ، وان كان هذا الاسلوب متقطعاً احياناً . والكتاب بعد لا يخلو من اخطاء نحوية وصرفية كنا نرجو ان يتنزه عنها المؤلف كقوله (ص ١٠) « لو انتظرت لرأيتيني » ورفعه اسم لعل في قوله (ص ١٨) لعل في افتراق كل منا نصيب متواضع من التضحية وقوله (ص ١٨ ايضاً) « او لا ترين معي ان رب فراقـاً يشتت شملنا » والصحيح « ان رب فراق ... » . ومن اخطائه النحوية كذلك قوله (ص ١٠٠) « فاذا بهم مشترين للعجل ، راغبين فيه »

والصواب « مشترون للعجل راغبون فيه . . . » وقوله « عيناهـا سوداوتان » (ص ٢٥) وتصويبها « سوداوان » وهناك ايضـاً بعض الاخطاء الاملائية والصرفية لا يتسع المجال لذكرها .

٢ — تشيخوف

للاستاذ نجاتي صدقي — ١٦٧ صفحة — سلسلة « اقرأ » مصر

يتناول المؤلف الاستاذ نجاتي صدقي في هذا الكتيب حياة القصاص والكاتب المسرحي الروسي انطون تشيخوف وتآليفه واتجاهاته الادبية ،ثم يترجم له عدداً من مسرحياته ذوات الفصل الواحد وبعض اقاصيصه .

اما دراسة حياة هذا الكاتب الروسي وتآليفه واتجاهاته فقد كانت قـاصرة على عرض لين سهل لم يحتمل التحري والبحث والتنقيب والاستنتاج ، وانما هي سرد لمراحل حياة ، واقتباس احكام اصدرها بعض النقاد او القصاصين . وقد اجتزأ المؤلف بذكر عدة روايات وحوادث للتدليل على مكانة تشيخوف وكان اجدر به ان يطيل دراسة حياته وتأثيرها على ادبه،وان يستعرض مميزات كتابته ومدى تفكيره ومزايا قصته وكيفية فهمه للحياة الخ . . . وهذه امور لم يتناولها المؤلف بالدرس ، على الرغم من انها لا غنى عنها في مثل هذه الدراسة . . وكنا نؤثر على ان يترجم لتشيخوف عدة روايات وقصص ، ان يأخذ احدى رواياته المشهورة او قصة من قصصه المعروفة ، فيحللها ويبين مزاياها ويستعرض مواضع الابداع فيها ويدرس اشخاصها . . . فالواقع انه قد ترجم لتشيخوف آثار كثيرة الى العربية ، ولكن لم يدرس الدراسة الوافية . وقد كان بوسع الاستاذ نجاتي صدقي ان يضطلع بهذه المهمة،لا سيا وانه اوماً ايماءات خاطفة الى عناصر هذه الدراسة .

على ان ذلك لا يعني ان المؤلف لم يبذل جهداً محموداً في ترجمة هذه الآثار لتشيخوف ، فان الدقة تتجلى في هذه الترجمة فضلا عن يسر في الاسلوب وسهولة في اللغة، ولا شك في انه احسن اختيار القصص والمسرحيات، فهي تظهر شخصية مؤلفها بأوضح مظاهرها .

سهيل ادريس

١ — الحرية

تاليف جون ستيوارت ميل ترجمة طه السباعي باشا
١٨٣ صفحة – دار المعارف بمصر

« الحرية » من القضايا الانسانية التي اراقت البشرية في سبيلها منذ فجر التاريخ انهاراً من الدمـاء ، وتطورت حتى أصبحت من الفروع المستقلة بعلم الاجتماع والقانون ذات حدود ومنـاهج . وهذا الكتاب الذي وضعه المفكر الانكليزي «ميل» عن الحرية يعتبر بحق نبراساً لتمكين الافراد من تربية انفسهم بانفسهم تربية مستفادة من التمرس بالمصاعب والتعرك بالمشكلات كيما يصبحوا اهلا للاستقلال بشؤونهم من سياسية واقتصادية وهو يبحث في السلطة التي يجوز للمجتمع استخدامها شرعاً في حق الفرد فيتعرف ماهيتها ويتبين حدودها . واعتقد ان مثل هذه الناحية على اهميتها في هذا العصر وتأثيرها البليغ في مشاكلنا قلما تعرضت الاقلام لمعالجتها وتوضيحها كما عالجها ستيوارت ميل في هذا الكتاب معالجة وافية كافية تناولت اولاً حرية الفكر والمناقشة التي لا تفترق عن حرية القول والنشر ، فاحاطت بدرسها من الوجهة الفلسفية والعلمية حتى جاءت قريبة من مفهوم العامة على الرغم من انها عميقة في الدرس والتمحيص ومستندة الى كثير من الشواهد التاريخية . وابان في الفصل التالي ان استقلال الشخصية من اركان صـلاح المعيشة ثم عقد المؤلف فصلاً اخيراً عن مدى تطبيقـات المبادىء المقررة آنفاً على الشؤون السياسية والادبية غير تارك شـاردة ولا واردة مما يتعرض له الفرد في المجتمع من حقوق وواجبات وعقود وعلاقة الحكومة بالاعمال والادارة الا أتى على ذكرها ومحصها التمحيص الكافي .

هذا هو مضمون كتاب الحرية الذي دفع به طه السباعي باشا الى الناس في حلة عربية قشيبة ولقد احسن بذلك ايما احسان ففيه من غنى البحث والتعمق في الدراسة والمعالجـة ومناهج التربية والارشاد ما يجعله في مدى حاجتنا اليه وتبني آرائه والسير على مبادئه الصحيحة . الا انه خشي ما ذهب اليه المؤلف من تمجيد حرية الرأي الى حد الخلاف ان تتخذ مبدأ شاملاً لجميع الامم على السواء، فتعتنقه الامم التي لم تستكمل استقلالها بعد والجاهدة في سبيل حريتها فيكون ذلك ادعى الى العطب ان لم تبادر الى الحجر على الخلاف فيما تبتغيه من مطلب حيوي لا بقاء لها الا بتحقيقه . واظن ان في استدراكه هذا شيئاً من الغلو كان احب لو تجاوز عنه فليس ينكر ما لاطلاق حرية الرأي من مغانم سياسية أجدت على اقطارنا العربية في كفاحها الشامل .

هذا ويمتاز المترجم باسلوب متين يضفي على بلاغة المعنى قوة في التعبير وفخامة في اللفظ وجمالا في الاشارة واللغة .

ولا يسعني بالختام الا ان اقدر للمترجم وهو من السياسين المصرين المرموقين جهده وعنايته في تيسير مطالعة هذا الكتاب

القيم لابناء العروبة متمنياً على غيره من كبار السياسيين ان يجدوا من وقتهم متسعاً لخدمة امتهم عن هـذا الطريق ، طريق النشر والترجمة والتأليف فيعاونوا على نهضة امتهم الفكرية بأجدى وسيلة .

٢ ـ حول المرأة

للاستاذين نجيب جمال الدين وشحادة الخوري
١٣٦ صفحة – المكتبة الكبرى – دمشق

لا مشاحة في ان القطر الشامي تضطرم فيه اليوم ثورة فكرية جامحة تدعو الى مسايرة الامم الراقية جنباً الى جنب والى خلق نهضة اجتماعية جبارة جديرة بماضي البلدين .

ومن مظاهر هذه الثورة الفكرية العارمة كتاب «حول المرأة» الذي اصدره الطالبان في معهد الحقوق السوري السيدان جمال الدين والخوري . فكانا بعملهما مثالاً حياً للشباب المتوثب الواعي الذي يرغب بالخير لامته ويرجو التقدم لبلاده .

وهما اذ انشأا هذا البحث العلمي الرصين حول المرأة – العامل الاساسي في تكوين الامة – لم يدفعهما اليه سوى ما لمساه من تقهقر اجتماعي يتخبط فيه هذا العنصر الخطير عندنا ، فاعلنا النكير على كثير من التقاليد البالية التي تقف بوجه تقدم المرأة وتحول دون مساواتها بالرجل في جميع الحقوق والواجبات . واعتمدا في تقرير وجهة نظرهما هذه سبيلاً منطقياً مفحماً ، حجته العلم الخالص ، والتاريخ الارتقائي ، والقانون العملي والطبيعي فبلغا بذلك درجة من التوفيق يحمدان عليها .

وقد مهد المؤلفان لدعوتهما هذه بجلاء قضية طالما رسخت في عقلية امتنا وعاقت تطورها الاجتماعي وهي قضية تفاوت الشرق والغرب فقررا ان المستعمر وحده هو الذي بذر هذا التنافر بين العقليتين وان هناك حقيقة واقعة لا تقبل الجدل وخصوصاً في هذا العصر هي ان جميع الامم سواء في مراحل التقدم وسلوك النظم الاجتماعية الصالحة .

ولعلنا اذا خلصنا من مطالعة هذا السفر الممتع ننتهي الى نتيجة واحدة هي انه لا سبيل الى رقي الامة الا باعلاء شأن المرأة ومنحها كافة الحقوق التي يتمتع بها الرجل استناداً الى ما توحيه النظريات العلمية والنظم والقوانين المشروعة وبعض النصوص الدينية ومراحل التاريخ المتفاوتة .

ونحن اذا ايدنا المؤلفين في نظريتهما ووجدنا لزاماً علينا التسليم بمنح المرأة الحقوق والواجبات كافة ونبذ التقاليد الموروثة التي تعيق تقدمها كأم وكعنصر فعال في المجتمع لا نجد في كتاب «حول المرأة» الطريقة العملية المرجوة لا يصال هذه الحقوق الى المرأة ولا الحدود التي ترسم لها مجال استعمالها فجاء البحث ناقصاً من هذه الناحية ولم تكن آراء المؤلفين الا نظرية بحتة لا تتطرق الى التطبيق والتحقيق ولا تتعدى الدفاع والتأييد بل هي مناظرة وقفا منها الموقف الايجابي فقط

اما من ناحية المبنى فقد كانت معالجة الموضوع موفقة لا سيما في طريقة تقسيم الموضوعات والاستعانة بالنصوص وبعض النظريات الخاطفة واتباع التسلسل المنطقي والمنهج العلمي البعيد عن التحيز والهوى والعاطفة . مما دل على تعمق ودراية وسعة اطلاع ودقة . كما ان الاسلوب فيه من الترف اللفظي والسلاسة التعبيرية ما يجعله صافياً مشرقاً خالياً من الشوائب .

وبالاجمال فالكتاب اثر ناجح باعتباره باكورة المؤلفين حري بالمطالعة والاقتناء .

ادیب مروة

ابو هريرة

للسيد عبد الحسين شرف الدين – ٣٣٠ صفحة – مطبعة العرفان – صيدا

اجدني في غير ما حاجة الى ان اقول شيئاً في المؤلف ، فهو علم ضخم في كل ما عرف العصر من اعلام ، اثروا حقل اختصاصهم الواسع ، بما اعطوا من زاد للفكر مشفوع بمثله في ظمأة القلب وسغب الضمائر والتياعة الروح .

ولعل انساناً انصف الدرس واجتمعت له اساليبه وادواته ، لا يشك ابداً – وقد وقف على كتب هذا السيد – انه كان معنى التمحيص في عقل المعرفة ، والروح العلمي البصير في تعقد العلم . . وانه رجل التجديد في جنبات بحث لم يعهد من الجديد ، الا شيئاً في حد الرغبة او شيئاً في حد التوهم والادعاء .

وعلى اني اخذت نفسي بان اتجاوز الكاتب الى الكتاب ، والمؤلف الى التأليف ، وكففتها دون حديثه ، لا اراني الا وقد فعلت ، لا اراني الا وقد حومت في جوه هو ، في جو اسره .

يطالعنا السيد اليوم كالعهد به ، بكتاب لا ريب في انه افرغ فيه جهداً خيّراً كبيراً ، على ما في موضوعه من عنت وتصعب

وشائكة . . وانا حين اقول جهداً خيراً اعني جيداً ما اقول، وليس يهمني بعد ذلك، اكان مع الناس منه، على وفاق او خلاف .

هو جهد كبير في نفسه، خيّر في حدود البحث الذي يقصد فيه لوجه البحث . . فيهمنا ابداً ان نتناول موضوعياً فقط، وان نعود انفسنا على التناول الموضوعي مهما كانت قسوة نتائجه وخشونتها من مألوفنا . . لا سيما والمؤلف كان موضوعياً جداً في القسم الاكبر من كتابه، ولم تخنه الموضوعية الا في الاقل اليسير منه .

اتخذ السيد من ابي هريرة الصحابي الشهير والمحدث المكثر، موضوعاً للبحث في هذا الكتاب . فقد راعته كما راعت الكثيرين قبله كثرة ما حدث عن لسان النبي، على الرغم من ضآلة المدة في صحبته، وراعه فوق ذلك ان في احاديثه التي يرويها، ما لا يتفق مع روح التعاليم المستفيضة في الاسلام الا بضروب من التعسف والتمحل والتكلف في التأويل .

وكان الشأن بالقدماء من رجال الحديث او الفقه او الكلام، ان يعصبوا التهمة برأس واحد من رجال السند يجدون فيه موهناً طاعناً او مبيحاً لاحتماله . . ولكن السيد — وهنا النقلة الخطرة ومدار الكتاب — يتجاوز رجال السند الى ابي هريرة نفسه، فيأخذه بالاتهام اخذاً عنيفاً .

وذلك بعد ان استبعد من طائفة حديثه، ما قد يتهم به راو دونه كما استبعد ايضاً ما يؤول من حديثه تأويلا سائغا مقبولا . فعمد الى جملة منها اخرجها الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما، لا مجال للطعن في رجال أسنادها فعند علماء الجرح ان من روى له البخاري فقد جاز القنطرة، وان ما اتفق عليه الشيخان — عند علماء الدراية ومصطلح الحديث — في قوة المتواتر . ولا مجال لتأويلها الا بتعسف، او لا مجال لتأويلها اصلاً .

وهذا كما هو واضح، يؤلف الزاماً منطقياً، فاما عدم التسليم بالقواعد والمسلمات، واما التوجه بالاتهام، ومع فرط التورع القول بالتلبيس عليه بين ما هو حديث الرسول مما هو حديث غيره . وهذا القول بالتلبيس يسقط حجية العمل بحديثه الا بمتابعات وتناصر الروايات .

ولكن السيد في الكتاب يميل الى الاتهام، وان كنت اراني اكثر ميلاً الى القول بالتلبيس .

وانت ترى من هذا التعريف اليسير، مقدار ما هي شائكة البحث فيه، وتتضح لك هذه الشائكة اكثر فاكثر، حين تعرف ان الجمهور الكبير من العلماء في هذا الباب، يقولون مع الحافظ في ارجوزته الحديثية :

والمكثرون : بحرهم، وانس عائشة، وجابر المقدس
صاحب دوس، وكذا ابن عمرا رب قني بالمكثرين الفردا

وصاحب دوس هذا هو ابو هريرة . . فالذي هو عند الدعاء في مقام الوسيلة، ما كان ليمر حتى في طاقة خيالهم ان يؤخذ من المثلبة بنسيلة . . .

واستخدم السيد في منهج البحث طريقة جد دقيقة، اقامها على قاعدة النقد المعنوي او الباطني المتعارف في نقد الوثائق في مصطلح التاريخ الحديث . وهذه الطريقة وان استنها المحدثون القدماء في جملة ما استنوا من طرائق، ظلت غير شائعة الاثر في التطبيق، والى السيد في هذا الكتاب يرجع فضل التوسع بها في درس متن السنة، وبكثير ايضاً من صدق الملاحظة وتوجيه المأخذ وتصيد وجه التوهين .

وان شئت ان ترى مقدار استجماع القوة في منهج البحث عنده، فارجع الى تعليقاته على حديث خلق آدم ص ٥٦، وحديث السهو ص ١١٠، وحديث سرقة الشيطان له ص ٢١٩، والى فصل دعواه الحضور في وقائع لم يحضرها ص ٢٥٥ .

واشار السيد الى من انكر عليه من السلف ص ٢٦٢، وانا اذكر ان صديقي المرحوم الشيخ عبد العزيز الخولي صاحب كتاب مفتاح السنة، كان يرى رأياً قريباً من رأي السيد، ولا سيما في حديث الذباب الذي اخرجه ابو داود في سننه .

وان كنا نأخذ من شيء على الكتاب، فالقطع احياناً بقضايا مذهبية كأنها محل اتفاق ولا سيما في الجانب الاصولي منها، فقد قطع في المقدمة باصالة العدالة في مطلق الصحابي عند الجمهور وهو محل خلاف عندهم كما نص عليه ابن الحاجب في المختصر، وقطع بأن النسخ لا يجوز قبل العمل به ورد الحديث بسببه وهو ليس محل اتفاق بل كثير من الاصوليين كالباقلاني يذهبون الى جوازه، وكذلك ايقاع الفعل في وقت لا يتسع له الخ .. وليس بشيء في مقام الالزام، الرد على المخالف بما لا يقوله .

ومهما يكن فالكتاب ادق ما كتب في مثل موضوعه، وهو اكبر قيمة من ان يكتفى منه بهذا التعريف اليسير . . .

عبدالله العلايلي



تاريخ

حل مجلس النواب اللبناني يوم الثلثاء في ٨ ايار ١٩٤٧ بمرسوم رقمه ٨٦٨٥ تنبثق قواه عن الدستور اللبناني ثم عن القرار رقم ٣١٢/ ٣١ تموز ١٩٤٣ الصادر عن « المندوبية العامة لفرنسة في الشرق بتوقيع هيللو » ثم عن « المصلحة العـامة » التي اقتضت هذا الحل .

لان الانتخابات اذا جرت كما يقول المرسوم اساءت الى موسم الاصطياف (فالمصلحة العامة هي هنا المحافظة على حركة الاصطياف وتأمين راحة المصطافين وعدم ازعاج الامزجة بمشاهدة المعركة الانتخابية في يوم واحـد من الساعة الثامنة صباحـاً حتى السادسة عشرة زوالية) .

● وهكذا تكون ولايـة المجلس المنحل استمرت ثلاث سنوات وسبعة اشهر واربعة ايام اذ انه انتخب في ٥ ايلول ١٩٤٣ (اي في عنفوان حركة الاصطياف ولم يسيء اليها بل على العكس افادها كثيراً لان كثيرين من اخواننا العرب كما تدل سجلات دوائر الجوازات والفنادق جاؤوا الينا لمشاهدة الانتخاب عندنا وقضوا بعد ذلك اياماً) .

● انتخب حضرة الشيخ بشاره الخوري رئيساً للجمهورية اللبنانية لمدة ست سنوات ، كما انتخب اول رئيس للمجلس السيد صبري حماده الذي استمر في الرئاسة ثلاث سنوات كاملة خلفه فيهـا الاستاذ حبيب ابو شهلا ومرت على هذا المجلس ست وزارات كل اعضائها من نوابه : وزارتا الاستاذ رياض الصلح الاولى والثانية ثم وزارة السيد عبد الحميد كرامه ثم وزارة الاستاذ سامي الصلح فوزارة الاستاذ سعدي المنلا فوزارة السيد رياض الصلح الثالثة وهي التي حلت المجلس (وفيها الدكتور الياس الخوري وزيراً غير نائب)

● جرى انتخابان فرعيان الاول انتخب فيه السيدان فريد الخازن وخليل ابو جوده خلفاً لحضرة رئيس الجمهورية ، وللاستاذ اميل اده الغني عن التعريف ، والثاني انتخب فيه السيد يوسف كرم خلفاً للنائب المرحوم وهيب جمجع الذي مات قتلاً .

● صدق المجلس المنحل مئة وتسعين مشروعاً ، ولكن ليس في هـذا العدد المتكدس الضخم من المشاريع مشروع واحد ثقافي فكري . فقد كانت قضايا الثقافة والفكر والتوجيه ولما تزل على الهامش في الحقيبة المهملة من حقائب النواب والحكام (وزير المعارف هو وزير الصحة ، ومدير المعارف هو مدير غرفة رئيس الجمهورية فوزارة الثقـافة والفكر والتوجيه من غير وزير ولا مدير) .

● ارسل حضرة رئيس الجمهورية مع مرسوم الحل كتابـه الى المجلس يشكر « اعماله المجيدة وانه سار في جميع مواقفه بروح القومية واضعاً نصب عينيه المصلحة اللبنانية العليا » فقرأ رئيس المجلس الكتاب والمرسوم في الندوة والنواب وقوف ، اجلالاً واحتراماً ، وهكـذا تلاقت تقاليد الجمهورية بتقاليد الملكية في بلد جمهوري .

معرض الانتخابات في لبنان

● دعت الحكومة الهيئات الانتخابية لانتخاب اعضـاء المجلس الجديد نهار الاحد الواقع في ٢٥ ايار ١٩٤٧ ولدورة الاقتراع الثانية — عند الاقتضـاء — نهار الاحد في اول حزيران ١٩٤٧ ، على نفس الاسس التي انتخب عليها المجلس المنحل وفي ظل القوانين ذاتهـا ، اي انتقلت القوة التنفيذية من يد الاجنبي الى يد الوطني لتنفذ قوانين لم ينفرد الوطني بوضعها .

● لاقت هذه الدعوه اضطراباً قوياً في نفوس اللبنانيين القوميين وارتفعت الانتقادات والاحتجاجات ، وغضبت الصحف غضباتها ، وتمرمر حملة الاقلام وتساءلوا عن هذا السبب الخبي الذي يحاول ان يحمل اللبنـاني في عهد الاستقلال فيبعد عن ارادته ، « وفي الديمقراطية ارادة الشعب هي الجمهورية » في حدود قوانين كلها من تركة الانتداب ولا سيما وقد رأوا ان بنود المرسوم ٨٦٨٥ ليست هي في تمام روحها من روح الدستور التي تبيح للسلطة التنفيذية توقيف السلطة التشريعية « عند ما تقتضي مصلحة البلاد العليا » كما انهم رأوا ان اعضاء الحكومة اليوم هم كلهم من المرشحين ومن اصحاب

الحزبية المحلية الاقليمية الجامحة .

● وهكذا ستجري الانتخابات اللبنانية، اي اول انتخابات منذ مئات السنين في بلد عربي مستقل دونما معاهدة اومركز ممتاز، في نطاق قوانين انتدابية « ويخشى جداً ان تأتي الانتخابات غير حرة لان قوانين التنفيذ ورجال القوة التنفيذية الحكومية، غير احرار، هذه من يد الانتداب واولئك من روح الحزبية .

اما اللبنانيون على اختلاف مذاهبهم فقد نادوا بالاصلاح، والنجاة مما هم فيه من قوانين فصمت الآذان، وهذه نبذة سريعة عن صرخات الناس التي ذهبت هباء في مسامع المسؤولين :

☆

تلهج الصحافة الوطنية وقادة الرأي وبعض الرجال الرسميين بضرورة اجراء تعديل دستوري يتناول بنوع خاص قانون الانتخاب العام قبل استفتاء الامة في الدورة الانتخابية المقبلة.

وترى ان لا سبيل للخلاص من مفاسد النظام البرلماني الحالي كما ان لا فائدة ترجى من اجراء انتخابات عامة، ولا امل باصلاح منشود، وحياة تقدمية حرة ما لم يتحقق هذا التعديل المتفق مع وعي الناس ونهضة الامة وروحها الاستقلالية الديمقراطية التي عبث بها الانتداب زمناً خدمة لاغراضه الاستعمارية فدبر لها هذا النظام الانتخابي الممسوخ !

ان المؤتمر الوطني اللبناني يناشدكم باسم المبادىء الديمقراطية والحياة النيابية الصحيحة للقضاء على هذه الاوضاع الشاذة التي تعيش البلاد في جوها منذ عشرين سنة تقريباً .

امين السر	نائب الرئيس	الرئيس
الدكتور جورج حنا	الدكتور سليم ادريس	ميشال فرعون

(من مذكرة المؤتمر الوطني اللبناني الى حضرة رئيس الجمهورية ورئيس المجلس النيابي ومجلس الوزراء)

***

اله جماهير الشعب اللبناني يفهمون بالمصلحة العامة العمل الجدي لحماية الاستقلال والسيادة الوطنية من خطر التدخل الاجنبي . وتقوية التضامن مع سوريا والاقطار العربية والتعاون معها في سبيل جلاء القوات الاجنبية عن ديارها وتحقيق استقلالها وسيادتها .

ويفهمون بالمصلحة الوطنية توطيد اسس الجمهورية وتعزيز الديموقراطية واطلاق الحريات العامة اطلاقاً دستورياً صحيحاً . والعمل الجدي على مكافحة الغلاء والقضاء على الفوضى والارتباك في الدوائر والغاء الوساطات والشفاعات والخلاص من دلال وغطرسة بقايا الاقطاعيين في لبنان . واجراء انتخابات حرة تتجلى فيها ارادة الشعب اللبناني في اختيار ممثليه وحماية هذه الارادة من عبث التلاعب والتزوير واساليب الضغط والاكراه والتغرير وافساد الضمائر، وبالتالي حماية ارادة الشعب من خطر ائتلاف يحاك باسم « المصلحة الوطنية » للعبث بالمصلحة الوطنية واتخاذها سبيلاً لتحقيق المصالح الشخصية الانانية على حساب بؤس جماهير الشعب اللبناني وعلى حساب آماله وامانيه .

صوت الشعب — لسان حال الحزب الشيوعي

***

اما عندنا، فباستطاعتنا اعطاء البراهين الواضحة، الملموسة، على وجود اشخاص في الحكومة استطاعوا بفضل مواهبهم للتمثيل المسرحي ان يظلوا ابطالاً في كل الادوار وآخرين استطاعوا بالوسائل نفسها والمتاجرة بالوطنية ان يجمعوا مغانم وفيرة . وان باستطاعتنا اعطاء البراهين الدامغة على تكريم الجهل . وباستطاعتنا كذلك اعطاء البراهين القاطعة على مواقف شاء فيها بعض الاسياد ان يجعلوا من خدمهم وخدم غيرهم اسياداً ايضاً، وذلك ليس لتقدير مناقب فيهم لا وجود لها، بل اعتماداً على خنوعهم المطلق بين ايديهم .

جريدة الزمان

***

نحن انما انسقنا في تيار الديموقراطية، لا لاننا حملنا عليها حملاً، بل لانها اعمق معنى في طبيعتنا .. وهي اي الديموقراطية، من هذه الطبيعة، كالنبض الحي لقلب البشري يكون ابداً العلامة على الصحة او المرض .

والديموقراطية اتخذت ضمانتها في النيابة، فهل كانت النيابة لدينا ضمانة حقيقية ؟ .

يسوءني ان اجيب، وان اكون في جوابي اكثر ميلاً الى التشاؤم، ويسوءني فوق ذلك ان يكون هذا الجواب صدى لهمس كل ذلك الشعب المرهق .

ولكن الشعب بعد اليوم لن يهمس همساً، فالهمس جبانة .. ولن يعتزل الميدان فالاعتزال خيانة .

عبدالله العلايلي في جريدة « كل شيء »

الغطرسة والاستئثار والاستثمار لاحد بان يتلاعب برأي الشعب . فقد ينقلب التلاعب ناراً وزفتاً وكبريتاً على رؤوس المتلاعبين .

جريدة العمل – لسان حال منظمة الكتائب

وعد رئيس الوزارة بضمانة حرية الناخبين وبنزاهة الانتخابات . فاي شيء عمل حتى الان مما يدل على ان الوعد المقطوع عبارة صادقة عما تضمر النفوس ؟ .

أيقال ان النية موطدة على اجراء انتخابات حرة والمحافظون والقائمقامون الذين اشرفوا على الانتخابات المزورة لا يزالون في مراكزهم بانتظار تكرار تمثيل المأساة ؟ .

والموظفون الذين فوض اليهم امر العبث باقتراع الشعب باقون يستفزونه ببقائهم ؟ .

أيظل قواد الدرك وقوى الامن الذين اشتهروا بجزبيتهم متسلمي القيادة ، والافراد الذين تعودوا في مخافر الجمهورية ان يأتمروا بامر الزعماء . وعمال الزعماء المرتجلين ، ومحاسيب الزعماء الانتهازيين ، والاشياع والاتباع ، في المخافر نفسها التي تعودوا فيها التنكيل بخصوم اولياءهم لقاء مكافآت واجر وترقيات ؟ أيظل كل شيء على حاله ويدعى الشعب لتصديق الوعد المقطوع بان الانتخابات ستكون حرة ؟ .

ان اصحاب الحق سيعرفون كيف يدافعون عن حقهم ، واهل البلاد كيف يفدون بلادهم وقيمها وحرياتها بكل غال وثمين . فلا يوسوسن شيطان الطمع وحب

لقد حاولت الاصلاح بشتى الوسائل فلم اجد تعاوناً صادقاً الا عند فريق ضئيل من زملائي النواب ، فما الفائدة اذن من العودة الى النيابة بعد ان ثبت لدي من تجربة اربعة اعوام اني في واد والمسؤولون في واد آخر . .

لقد طالبت في مناسبات مختلفة بتعديل الدستور ، وتعديل قانون الانتخابات والاستعانة بذوي الاختصاص في تصريف شؤون الدولة فلم تلق طلباتي آذاناً صاغية .

اما الدستور فهو من صنع الدولة المنتدبة وقد سنته ليكون رئيس الدولة آلة طيعة بين يديها فحصرت في شخصه السلطات دون ان تعتبره مسؤولا امام البرلمان ، وهذا لا يجوز من ناحية التشريع ، فالرئيس الذي تنحصر فيه الصلاحيات يجب ان يكون مسؤولا امام البرلمان فيناقشه الحساب . وهذا تماماً ما يجري في الولايات المتحدة الاميركية حيث يتمتع رئيس الجمهورية بسلطة واسعة ولكنه بالمقابلة مسؤول امام الكونغرس .

فلماذا لا يعدل دستور لبنان بشكل توسع فيه صلاحيات الرئيس الاول ويكون مسؤولا امام البرلمان ؟ .

اما بقاء الحالة على ما هي عليه فامر لا يتفق والاصول الدستورية في شيء .

ان الصلاحيات في لبنان متشابكة متناقضة وهي تحول دائماً دون تحقيق الاصلاح المنشود .

اما قانون الانتخاب الحالي ، على اساس المحافظة ، فهو بعيد عن العدل والعقل ولا يأتي بالممثلين الحقيقيين عن الشعب . . ولكن اين من يسمع ؟ . وهذه هي الانتخابات على الابواب وسوف تجري وفقا لقانون الانتداب ! . .

عبد الحميد كرامه

رئيس مجلس الوزراء ونائب الشمال سابقاً

ان لبنان بلد الكفايات وبلد المؤهلات ، وبلد العلم والمعرفة ، لا يجوز ان يرسل الى الندوة انصاف الاميين الذين لم يصقل العلم عقولهم ، ولم تهبط عليهم نعمته ، فالعلم الصحيح شرط اساسي في النائب الذي سوف يشرع للبنان ، ويسن قوانينه ، ويحمل بين يديه مقدراتنا نحن ، ومقدرات الاجيال الآتية من بعدنا ولا يجوز ان نرسل الى هذه الندوة رجالًا لا يقدرون قدر القيم الروحية فيسكتون غداً عن الرشوة والتدهور الخلقي والاسفاف والاستغلال والاسراف والتبذير ، ويبيعون صوتهم وهو ملك الشعب اللبناني ، ويغضون الطرف عن سيئات الحكومة لقاء امتيازات ينتزعونها ، ويدعمون المستثمرين من اصحاب رؤوس الاموال الذين لا هم لهم سوى امتصاص دم هذا الشعب سيان عندهم اعاش ام مات ، ويعينون الظالم على ظلمه ، والجائر على جوره ، والطاغي على طغيانه .

لن يسمح لبنان لاحد ان يعبث بقيمه الروحية ومقاييسه المثالية ، ولن يرضى ان يقوده نفر توهم الحكم ارتجالا شائناً ،

وتوهمه لعباً لا ضابط له، ولا شرعة يتقيد بها فيه، وحسبه اثرة وانانية، وقرصاً من الحلوى يوزع ذات اليمين وذات اليسار، وظنه ملهاة يلهو بها مع انصاره بينما الشعب اللبناني يتألم ويكاد يستولي عليه اليأس المميت .

لقد راح بعض النواب يستغلون النيابة كما يستغل الفلاح ارضاً استأجرها لعدة سنوات ، ولا يتورعون مثلاً عن المتاجرة بالسلاح والحشيش ، وتناول القطع النادر ، وبيع السيارات واتمام الصفقات المختلفة في شتى مصالح الدولة ، وتعيين الموظفين لقاء جعالة معلومة ومبلغ مرصود ، وخدمة اشخاص وشركات ، وتمثيل اشخاص وشركات ، وغشيان قصر العدل لاطلاق حرية القتلة والمجرمين المتطاولين على القوانين والصدوع بامر هذا وذاك ، والسماع الى وحي يوحى به من هنا وهناك او يهبط من هذه الناحية او تلك . .

***

ان مستقبلنا في ايدينا انا وانت وهو ونحن وهو بين يدي هذه الحكومة التي سوف تشرف على الانتخابات المقبلة فلنثق بانفسنا ووطننا ولنتكل على الله ولنطلب الى رجال الحكم

معرض رعاية الطفل
في « وست هول »

☆

منذ بدء القرن العشرين والامم الحية الراقية تتسابق لتخفيف نسبة وفيات اطفالها كما انها خصت مشاريع الطفل الصحية والثقافية والتربية بقسم كبير من جهدها وميزانيتها . وعممت المستوصفات وانشأت دور الحضانة ورعاية الطفل . لانها تعتبر الطفل حجر الزاوية في هيكل الامم . وتعزيزاً لهذه الفكرة تقيم لجنة رعاية الطفل لمشروع الانعاش القومي في الجامعة الاميركية معرضاً للطفل ساهمت بتنظيمه كتلة من المؤسسات الوطنية والاجنبية التي تعالج في مجرى عملها شخصية الطفل اللبناني من نواحيها المختلفة .

فاللجنة تدعو المجتمع اللبناني على اختلاف طبقاته لزيارة المعرض الذي يفتح ابوابه ايام الجمعة والسبت والاحد الواقعة في ٢ ، ٣ و ٤ ايار من الساعة الثامنة والنصف صباحاً حتى الساعة السادسة مساء في بناية « وست هول » من الجامعة المذكورة .

اليوم ان يتنحوا عن الحكم لاننا نحس ان الحرية حرية الناخبين وحرية المرشحين لن تكون مضمونة الا اذا احطنا هذه الحرية بسياج روحي متين .

محيي الدين النصولي
صاحب جريدة بيروت

***

لما كانت منظمة الغساسنة التي لي شرف ترؤسها منظمة قومية توجيهية انشائية ، لا يعقل ان تخوض اي انتخاب على اسس طائفية وفي ظل قوانين من بقايا الانتداب لذلك اعلن باني غير مرشح وبان منظمة الغساسنة لم ترشح احداً .

رئيس منظمة الغساسنة
المحامي نسيم مجدلاني

***

ان تقاليد الانتخاب التي بين ايدينا هي حرب علينا . ويوم لا يضطر اللبناني اذا أحب ترشيح نفسه على التحالف — في حساب القائمة الانتخابية — مع من هم ضد نفسه وعلى الاتصاف بصفات هي من غير نفسه عندئذ وحده يصح ان نقول اننا في لبنان ديمقراطيون وان حرية الفرد مؤمنة لانها حرية الوطن .

ان قانون الترشيح اللبناني قانون يناقض نفسه بنفسه فهو يعين لكل طائفة نوابها ثم تأتي مادته السابعة والعشرون فتقول « عضو مجلس النواب يمثل الامة جمعاء ولا يجوز ان تربط وكالته النيابية بقيد او شرط من قبل منتخبيه » وهكذا يكون على المرشح ان يتقدم باسم طائفته وان يعمل باسم قوميته ولما كانت الطائفية عدوة القومية كانت هذه القوانين القائمة عدوة نفسها ، عدوة لبنان نفسه ، عدوة حرية الانتخاب وحرية الترشيح .

***

لم يتجرأ المسؤولون في الدولة على وضع قانون جديد للانتخاب يتلاءم وعهد الاستقلال لانهم هم انفسهم كما يبدو يخافون ان يصبح الاستقلال في نفوس اللبنانيين حقيقة قوية عندئذ تنهدم زعاماتهم وينثر عقدهم وتشل شركاتهم وتحرر هذه البيوتات الاقطاعية القائمة من ذل الاقطاعية ، عندئذ يحاكمهم الشعب المتحرر على جرائمهم باسم الشعب لذلك احبوا ان يجروا باسم الاستقلال وفي اقوى ايامه انتخاباً على نظم الانتداب واحط ايامه .

الياس خليل زخريا
من خطاب له في اجتماع عام في العاصمة



٢٩ اذار – صرحت المقامات العليا بان الحكومة البريطانية لا تنوي اجراء اي تعديل في سياستها بفلسطين قبل احالة القضية برمتها على هيئة الامم المتحدة .

٣١ – رفع جلالة الملك فاروق العلم المصري فوق ثكنات قصر النيل ، واعتبر هذا اليوم عيداً قومياً .

– ادلى احد نواب الكونغرس الاميركي بالتصريح التالي : ينبغي على الولايات المتحدة ان تنذر روسيا بوجوب نزع سلاحها في الحال والا فانها ستستخدم ضدها القنابل الذرية .

١ نيسان ١٩٤٧ – توفي الملك جورج الثاني ملك اليونان وخلفه شقيقه الامير بول .

– يقال ان المستر ترومان توسط لدى جلالة الملك فاروق ولدى الحكومة الانكليزية لانهاء النزاع القائم بين مصر وبريطانيا .

٢ – وافق مجلس العموم البريطاني على مشروع التجنيد الاجباري لوقت السلم باغلبية ساحقة .

– اعلن رسمياً ان الدول الاربع الكبرى قد وافقت على دعوة الجمعية التابعة لهيئة الامم المتحدة الى عقد جلسة لمعالجة قضية فلسطين .

٣ – احالت الحكومة السورية على مجلس النواب مشروع قانون الخدمة العسكرية .

٤ – نسف اليهود الباخرة البريطانية امباير ريفال ، المخصصة لنقل المهاجرين اليهود غير الشرعيين من فلسطين الى قبرص .

٥ – وصف ليون بلوم دعوة الجنرال ديغول الى الوحدة بانها في الحقيقة دعوة الى الشقاق والتفرقة .

٧ – قدم الرفيق مولوتوف رسالة الى الجنرال مارشال وزير الخارجية الاميركية يحتج فيها على بقاء القوات الاميركية في الصين .

٨ – هاجم الرفيق غروميكو في لجنة نزع السلاح التابعة لهيئة الامم المتحدة مشروع المساعدة الاميركية لليونان وتركيا مهاجمة عنيفة متهماً الولايات المتحدة بانها تجاوزت صلاحيات المنظمة العالمية ونسفت سلطة هيئتها .

– تخلى جلالة الملك كريستيان العاشر ملك الدنمرك عن العرش الى ابنه الامير فريدريك .

– اثار مندوب مصر في المؤتمر البرلماني الدولي بالقاهرة قضية فلسطين وايده مندوب العراق .

– اصدرت الحكومة اليونانية اوامرها الى كافة قواتها المسلحة بالهجوم على العصابات اليسارية . وطلبت من بريطانيا الاحتفاظ بجيشها والبحرية في اليونان .

٩ – اتخذت الحكومة المصرية قراراً حظرت فيه على الجنود البريطانيين دخول القاهرة بملابسهم الرسمية .

١٠ – جاء في البيان الذي القاه رئيس الوزارة العراقية ان الحكومة عازمة على طلب تعديل المعاهدة مع بريطانيا .

– وجه سماحة المفتي الاكبر الحاج امين الحسيني نداء الى الشعب الفلسطيني دعا فيه الى وحدة الصفوف ونسيان الخلافات الشخصية .

١١ – وافق المستر بيفن والجنرال مارشال في مؤتمر موسكو على ضم منطقة السار اقتصادياً الى فرنسا ، ووعد الرفيق مولوتوف ببسط وجهة نظره في جلسة مقبلة .

١٢ – اذاعت منظمة الامم المتحدة ان اربعة وعشرين دولة اعلنت موافقتها على الاقتراح البريطاني لعقد جلسة خاصة بفلسطين .

– دعا المستر هنري والاس في خطاب القاه على نقابات العمال في منشستر الى احياء مبادئ الرئيس روزفلت ، ومما قاله : التعصب يزداد يوماً عن يوم بينما منظمة الامم المتحدة تزداد ضعفاً .

١٣ – توفي بالسكتة القلبية صبري ابو علم باشا ، الفقيد زعيم المعارضة في مجلس الشيوخ وسكرتير عام الوفد المصري .

١٥ – يقال ان وزير الخارجية الاميركية جورج مارشال قد رفض بشدة مقترحات الرفيق مولوتوف بشأن معاهدة تجريد المانيا من السلاح .

– اعلنت وزارة الخارجية الفرنسية انها قد فرضت رقابة شديدة على السواحل لمنع تسلل اليهود من فرنسا الى فلسطين .

– طلبت الحكومة المصرية من الولايات المتحدة قرضاً يبلغ ٢٢ مليون جنيه .

– اذاع الجنرال ديغول خطاباً حمل فيه على نظام الاحزاب القائمة في فرنسا ودعا الشعب الفرنسي الى الالتفاف حوله .

١٧ – انجزت لجنة التحقيق التي عينها مجلس الامن الدولي تقريرها عن شكوى اليونان ضد البانيا وبلغاريا . وانصرفت اللجنة الى التعليق على الشهادات التي جمعتها .

– اقامت الحكومة السورية احتفالاً رسمياً بعيد الجلاء . وقد القى الرئيس شكري القوتلي خطاباً نوه فيه بالجهود التي بذلها الشعب .

١٨ – القى المستر هنري والاس خطاباً قال فيه : لقد اصبحت ايام الاستعمار معدودة فان الدول التي تسعى للتوسع والسيطرة ستحطم بعضها البعض وان السلام يستحيل في عالم واحد بين النظم الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية .

– ادلى الجنرال علي فؤاد احد اعلام تركيا الحديثة الى الاهرام بان تركيا تحترم استقلال وسيادة البلاد المنفصلة عن السلطنة العثمانية

١٩ – قالت احدى جرائد الهند ان الجامعة العربية بسعيها في سبيل القضية الهندية انما تقوم بخدمة تتجاوز الهند والدول العربية الى المساهمة في وضع الاسس لمستقبل الشرق .

٢٠ – ما تزال القوات الفرنسية تقوم بغارات عنيفة على مراكز الثوار في مدغسكر .

– نالت الحكومة العراقية التي يرأسها السيد صالح جبر الثقة باغلبية ساحقة .

٢١ – توفي الملك كريستيان ملك الدنمارك وخلفه فريدريك التاسع .

– قررت مصر رفع شكواها على بريطانيا الى مجلس الامن في نوار القادم .

٢٢ – تفيد البرقيات بان هناك دلائل قوية تدعو الى الاعتقاد بان الوزراء الاربعة قد فشلوا فشلاً تاماً في النقاط التالية : ١ الممتلكات الالمانية في النمسا ، ٢ الحدود النمساوية ٣ التعويضات التي يجب ان تدفعها النمسا .

– قدمت الدول العربية مذكرة الى الامانة العامة لهيئة الامم المتحدة تطلب الغاء الانتداب عن فلسطين ومنحها الاستقلال التام .

٢٣ – ادلى سمو الامير فيصل آل سعود رئيس وفد المملكة السعودية الى هيئة الامم المتحدة بحديث قال فيه : قضية فلسطين قضية حق وعدالة وسنكسبها ان لم يكن في هيئة الامم المتحدة ففي فلسطين نفسها .

– تسعى الحكومة المصرية الى نقل عملتها من الكتلة الاسترلينية الى كتلة الدولار .